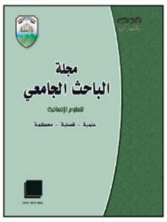

جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

نقد الفاروقي عقائد المسيحية في كتابه " الأخلاق المسيحية" دراسة تحليلية نقدية

سامي علي صالح الجماعي
قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن
Email:samialgomaei@gmail.com

الكلمات المفتاحية: نقد، الفاروقي، عقائد المسيحية، دراسة الأديان، الأخلاق المسيحية،

الملخص:

تمثل شخصية الفاروقي واحدة من أبرز الشخصيات الإسلامية المعاصرة في مجال دراسة الأديان، وفلسفة النقد الدِّيني، ويسعى هذا البحث للوصول إلى معالم نقده للعقائد المسيحية، ويحاول بيان الإطار المنهجي للإسهام الفكري للفاروقي من خلال كتابه: «الأخلاق المسيحية»، بوصفه يمثِّل تطبيقًا عمليًا للمبادئ النقدية التي وضعها لتقييم العقيدة المسيحية، واستخدم البحث مناهج الاستقراء والوصف والتحليل، عند جمع مادته ووصف محتواه، وتحليل مضمون نصوصه ومعانيها ومقاصدها، للوصول إلى الحكم عليها، من خلال النتائج التي سيتم التوصل إليها، ويحتوي البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث: خصص الأول، للتعريف بالفاروقي وكتابه، وكشف الثاني، عن الأسس المنهجية في نقد الفاروقي للعقائد المسيحية، واستعرض الثالث، نماذج من نقد الفاروقي لبعض العقائد المسيحية، وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها: أن المقاربة المتميزة التي قدمها الفاروقي في نقد عقائد المسيحية، يمكن أن تُتخذ أنموذجاً معرفيًا للدراسة النقدية المقارنة، لكن بعد تطبيق شروطه التي تضبط مساره العلمي والمنهجي، وتحديد موضوعاته العقدية المراد نقدها وتقييمها، وأنه تجاوز النقائص التي اكتنفت الدراسة الظاهراتية الغربية، من خلال تطوير المنهج الماورائي بنظريته الإسلامية القادرة على ممارسة النقد والتقييم بموضوعية وحيادية تامة.

نقد الفاروقي عقائد المسيحية في كتابه " الأخلاق المسيحية" دراسة تحليلية نقدية

Naqd Al- Faruqi's of Christian beliefs through his book "Christian Ethies" Critical Analytical Study

Sami Ali Saleh Al-gomaei
Department of Quran Sciences and Islamic Studies, Faculty of Arts, Ibb University, Yemen
Email:samialgomaei@gmail.com

Keywords:

Critique, Al-Faruqi, Christian beliefs, Religion Studies, Christian Ethies,

Abstract:

Al- Faruqi's character represents one of the most prominent contemporary Islamic figures in the field of religions studies, as well philosophy of religions criticism. This research aims to outline his critique of Christian beliefs through his book "Christian Ethies", which served as a practical application of the critical principles he established for evaluating Christian doctrine. The research employed methods of inquiry, description, and analysis to gather material, describe its content, analyze the texts substance, meanings and purposes to arrive at judgments based on the results obtained at the end of the research. The research includes a methodological introduction, a preface, and three sections: the first introducing Al-Faruqi, his book and the impact of Western thought his approach, the second methodological foundations in Al-Faruqi's critique of Christian beliefs, and the third examples of Al-Faruqi's critique of some Chrisian beliefs. The research has reached several conclusions, including that Al-Faruqi's has been a lot to identify distinct and new features in the Criticism of Christianity in terms of methodology and content. He surpassed the deficiencies that surrounded methodology with his Islamic theory capable of conducting criticism and evaluation with complete objectivity and neutrality.

المقدمة:

الحمد لله الذى جعل لنا دينًا قويمًا، وأرسل فينا رسولًا كريمًا؛ فحبانا بذلك فضلًا عظيمًا، وبعد: فإن كثيرًا من علماء المسلمين وفلاسفتهم الباحثين في التراث الإسلامي، قد أسهموا بجهود كبيرة في التأسيس المنهجي والنقدي للعقائد القديمة بصفة عامة، والعقائد المسيحية بشكل خاص؛ إذ اعتمدوا في دراساتهم التحليلية النقدية لتلك العقائد على ما وجههم إليه المنهج القرآني؛ من خلال ما جاء فيه من التصنيف للعقائد المختلفة، والاعتراض على ما خالف منها الحنيفية السمحة

من الشرك والغلو، بوصفها تخالف الفطرة السليمة من جهة، وتعارض المسلمات العقلية والمنطقية من جهة أخرى.

وقد احتفى الفكر الإسلامي بتلك الجهود المنهجية المتميزة، وأشاد بدورها الذي لم يقتصر على العرض والتحليل وحسب، بل تعدى ذلك إلى النقد والتقييم كل حسب نظرته وخلفيته الفكرية.

ومن هنا سيحاول هذا البحث إلقاء نظرة على جهود عالم كبير أسهم بشكل بارز في نقد عقائد المسيحية، على المستويين: المنهجي، والموضوعي، وهو: المفكر الإسلامي الفلسطيني (إسماعيل الفاروقي)؛ كونه شخصية بارزة أسهمت بجهود متميزة في دراسة الفكر الديني عمومًا، والفكر الديني المسيحي على وجه الخصوص، في ضوء المؤثرات التاريخية التي رافقت تبلوره، بعيدًا عن الأحكام والتصورات المسبقة.

كما يعتقد الباحث أن شخصية الفاروقي، ما تزال مثار جدل فكري، ومازال هناك غموض عن جملة ما قدمه من جهد فكري وسياسي يخدم الإسلام من جانب، وما أضافه للفكر الإسلامي وثقافته من بصمات مشرقة من جانب آخر.

ولما كانت المسألة المنهجية له في نقد العقائد المسيحية على وجه الخصوص، هي من ضمن تلك المسائل التي لم تُكشف بعد؛ فإن هذا البحث يحاول الكشف عنها، والإفادة منها، وذلك عبر استكشاف المبادئ التي اعتمد عليها الفاروقي في نقده للعقائد المسيحية.

أولًا: أهمية البحث:

1. حاجة الفكر الإسلامي المعاصر إلى دراسة أو دراسات إضافية جديدة من هذا النوع؛ لتسد فراغًا في المكتبة العربية والإسلامية، لا سيما في مجال الدراسات النقدية التي تواجه الدراسات الشرق الأوسطية غير الموضوعية، ذات الأبعاد الأيديولوجية المضادة للفكر الإسلامي المعاصر في هذا المجال.
2. أنه يبحث في أعمال أحد المفكرين المسلمين في القرن العشرين الذين اهتموا بنقد الأسس المنهجية والنظرية التي تأسست عليها المعرفة الغربية عمومًا، والمبادئ العقدية المسيحية على وجه الخصوص، واستثمار ذلك في إنتاج أسس نظرية للمعرفة الإسلامية تقوم على منظومة من المبادئ العامة، تشير في مجملها إلى وحدة دين الله، وتوحيده.

3. حاجة الأمتين العربية والإسلامية اليوم إلى إضاءة سير عظمائها، ومنهم إسماعيل الفاروقي؛ كونه يقدم نموذجًا إسلاميًا متميزًا في دراسة الفكر الديني المعاصر، في ضوء سيادة نظرية صراع الأفكار والعقائد والثقافات المعاصرة.

ثانيًا: أهداف البحث:

1. التعريف بالمفكر إسماعيل الفاروقي وبكتابه: "الأخلاق المسيحية".
2. الكشف عن الأسس المنهجية والنظرية في نقد الفاروقي للعقائد المسيحية، واستخلاص مبادئ تقييمه لهذه العقائد.
3. استعراض نماذج من نقد الفاروقي للعقائد المسيحية، بوصفها تطبيقًا عمليًا لمنهجه النقدي، والمقاربة الموضوعية المتميزة لهذا المنهج.

ثالثًا: أسباب اختيار البحث:

1. إعجاب الباحث بشخصية الفاروقي، وثقافته، التي ينبغي التعرف عليها، ومعرفة العوامل الكامنة وراء التكامل الذي بلغه.
2. رغبة الباحث في خوض غمار فلسفة النقد الديني، ضمن الدراسات النقدية المقارنة.
3. شعور الباحث بأهمية هكذا دراسات فكرية في العصر الحالي؛ إذ تسهم في الكشف عن مظاهر التضليل الفكري والحضاري الذي يمارسه الغرب تجاه الإسلام والمسلمين على حدٍ سواء.
4. المشاركة في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بالبحوث التحليلية النقدية للكتابات التي قدمها بعض المفكرين العرب والمسلمين المهتمة بدراسة المسيحية ونقد عقائدها.

رابعًا: إشكالية البحث وتساؤلاته:

تبدو مشكلة البحث ظاهرة من عنوانه، والمتمثلة بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما القسمات العامة لشخصية المفكر إسماعيل الفاروقي وجهوده الفكرية والمنهجية؟
2. ما الأسس المنهجية والنظرية في نقد الفاروقي للعقائد المسيحية؟ وما مبادئه المعتمدة في تقييم هذه العقائد؟
3. ما الأهمية الفكرية والمنهجية للنماذج النقدية التي قدمها المفكر الفاروقي للحكم على العقائد المسيحية؟
4. ما النتائج التي توصل إليها الفاروقي في معرض نقده للعقائد المسيحية؟

خامسًا: منهج البحث:

فرضت طبيعة البحث أن يعتمد الباحث على ثلاثة مناهج بحثية:

1. الاستقرائي: من خلال جمع الجزئيات المتفرقة عن دراسة الفاروقي للعقائد المسيحية؛ لتكوين محاور متكاملة.
2. الوصفي: وذلك للتعريف بالمفكر الفاروقي وبكتابه "الأخلاق المسيحية"، وتوصيف معالم منهجه في دراسة العقائد المسيحية.
3. التحليلي: لعرض النماذج النقدية التي قدمها الفاروقي، وتحليل مضامينها، وإبداء الرأي فيها؛ رغبة في الوصول إلى النتائج المستنبطة منها، والكشف عن السمات المميزة للمقاربة الموضوعية للفاروقي في تناولاته المنهجية والفكرية، ودراستها بموضوعية وحيادية.

سادسًا: حدود البحث:

يقتصر حدود هذا البحث -بصورة أساسية- على تناول منهجية المفكر إسماعيل الفاروقي في نقد العقائد المسيحية من خلال كتابه: "أخلاق المسيحية (Christian Ethies)" على وجه الخصوص.

سابعًا: الدراسات السابقة:

على الرغم من أن الفاروقي من الشخصيات المكثرة من الإنتاج العلمي في مختلف المجالات المعرفية، إلا أنه لم يحظَ بدراسة أو بحث كبحثي بصفة أساسية لجهوده الفكرية في دراسة عقائد المسيحية، وأسس منهجه في نقدها، في ضوء المقاربة الموضوعية المتميزة لهذا المنهج من خلال كتابه سالف الذكر، سوى عدد من الدراسات البسيطة، بعضها منفرد، وبعضها الآخر مقارن مع آخرين، يمكن استعراضها على النحو الآتي:-

1- دراسة الباحثة: زينة محمد باخة، بعنوان: «معالم منهج دراسة المسيحية بين أبي محمد بن حزم وإسماعيل الفاروقي» رسالة ماجستير -غير منشورة- في الأديان، بالجامعة الإسلامية بماليزيا، عام 1999م، واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي، فضلاً عن منهج الاستقراء، ومنهج التحليلي المقارن، عند استكشاف معالم منهج دراسة المسيحية لدى كل من ابن حزم والفاروقي، وذلك عبر مسلك مقارنة لاستجلاء مواطن الاتفاق ومواضع الافتراق بينهما من حيث المنهج والمضمون، وهي دراسة أكاديمية بعيدة عن موضوع دراسة الباحث؛ إذ ما يميز بحثي هذا أنه سيبحث عن منهج الفاروقي في نقده للعقائد المسيحية من خلال كتاب: "الأخلاق المسيحية" بصورة أساسية، وهذا لم تتطرق إليه الباحثة بوجه خاص؛ إذ ركزت في دراسة الفاروقي للمسيحية على تحليل أخلاقها، وبيان أوجه التحريف لدى أتباعها، من خلال رجوع الباحثة إلى كتابات كثيرة للفاروقي تشمل كتب وأبحاث، وبعض المقالات.

2- دراسة الباحثة: ليندا بوعافية، والموسومة بـ «منهج الفاروقي في دراسة اليهودية»، رسالة ماجستير، ناقشتها في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر في الجزائر، عام 2009م، واعتمدت الدراسة على مناهج الوصف والاستقراء والتحليل والمقارنة، عند جمع السمات المنهجية للفاروقي في دراسة اليهودية ووصف مبادئها الفكرية والعقدية، وتحليل مضمون كتبها المقدسة، ونقد محتوياتها في ضوء المنهج الجديد للفاروقي الذي عُرف بـ (ما وراء الدين)، وعمومًا فهذه الدراسة خُصصت للحديث عن منهج الفاروقي في دراسة اليهودية فقط، ولم تتطرق إلى منهجه في نقد عقائد المسيحية، موضوع دراسة الباحث.

3- دراسة الدكتور محمد خليفة حسن، بعنوان: «جهود إسماعيل الفاروقي في علم تاريخ الأديان»، نُشرت ضمن سلسلة إسلامية المعرفة، السنة التاسعة عشرة، العدد 74، خريف 1434هـ/2013م، وقد خُصصت هذه الدراسة للكشف عن إسهام الفاروقي في التأسيس المنهجي لعلم تاريخ الأديان والعقائد على المستوى الدولي وعلى مستوى المنهج والمضمون، في ضوء طبيعة

التجربة الدينية في الإسلام، وعلاقتها بالتجارب الأخرى، دون الإشارة للأسس المنهجية التي اعتمد عليها في نقد عقائد المسيحية، موضوع بحثي.

4- دراسة الباحث: عامر عدنان الحافي، بعنوان: «قراءة في كتاب: "الأخلاق المسيحية"، نحو علم مسيحيات إسلامي»، نُشرت -كذلك- ضمن سلسلة إسلامية المعرفة، العدد 74، (أيلول 2013م)، وهذه الدراسة وعلى الرغم من أنها تتفق مع موضوع بحثي من خلال اعتماد كتاب الفاروقي "الأخلاق المسيحية" منطلقًا في التعريف بالمقدمات المنهجية التي أقام عليها المؤلف نقده للأخلاق المسيحية والتصورات العقدية المتصلة بها، فإن موضوعي بحثي ينفرد عنها بكشف الأسس المنهجية في نقد الفاروقي للعقائد المسيحية من جهة، واستخلاص مبادئ تقييمه لهذه العقائد من جهة أخرى، فضلاً عن استعراض بحثي نماذج من نقد المفكر الفاروقي لبعض العقائد المسيحية، بوصفها تطبيقًا عمليًا لمنهجه النقدي، والمقاربة الموضوعية المتميزة لهذا المنهج.

5- دراسة الباحث: بلال التليدي، بعنوان: «النموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي»، نُشرت ضمن سلسلة إسلامية المعرفة أيضًا، العدد 74، (أيلول 2013)، وهي دراسة بعيدة نوعًا ما عن موضوع بحثي، لأنها خُصصت للحديث عن الجانب المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي، من دون الإشارة للجانب المنهجي عمومًا، والجانب النقدي للعقائد المسيجية موضوع بحثي على وجه الخصوص.

إلى جانب الدراسات السابقة يشير الباحث إلى قيام مؤتمرات دولية خاصة بفكر الفاروقي، من أهمها: المؤتمر الدولي الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع كل من جامعة اليرموك الأردنية وجامعة العلوم الإسلامية، بعنوان: «إسماعيل الفاروقي: وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر» في الفترة الأربعاء والخميس 27-28 ذو الحجة 1432هـ الموافق 23-24 تشرين الثاني (نوفمبر) 2011م، وخرج المؤتمر بمجموعة من الأبحاث ناقشت في مجملها جوانب العطاء الفكري والإسهام العلمي للفاروقي، منها الثلاث الدراسات الأخيرة سالفة الذكر، وتم التعليق عليها بما يغني عن إعادته.

فضلًا عن عدد من الدراسات التي سبقت ما ذُكر، أو جاءت بعدها، وهي ذات الصلة بموضوع نقد الفكر الديني المسيحي بصفة عامة، لكنها ليست ذات صلة بموضوع بحثي هذا، كما لم يتم الوقوف على دراسة تجمع بين ذلك كله وبين أسس منهجية الفاروقي في نقده للعقائد المسيحية من خلال كتابه سالف الذكر، مما يبرر أهمية هذا البحث، وتميزه عن غيره من سوابق الأبحاث والدراسات.

ثامنًا: هيكل البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة منهجية، وتمهيد خُصص للتعريف بالمصطلحات العامة الواردة في عنوان البحث، وثلاثة مباحث: أُفرد المبحث الأول للتعريف بالفاروقي وبكتابه "الأخلاق المسيحية"، وكُرس المبحث الثاني

للكشف عن الأسس المنهجية والنظرية في نقد الفاروقي للعقائد المسيحية وتقييمها، في حين استعرض المبحث الثالث نماذج من نقد الفاروقي لبعض العقائد المسيحية، وخاتمة لخصت أبرز ما توصل إليه البحث من النتائج والتوصيات والمقترحات، ألحق الباحث كل ذلك بهوامش ومصادر ومراجع هذا البحث، وقدم له ملخصًا صغيرًا باللغتين العربية والإنجليزية.

تمهيد: تعريف أبرز مصطلحات البحث:

أولًا: مفهوم العقيدة لغة واصطلاحًا:

1- تعريف مفهوم العقيدة لغة:

كلمة "عقيدة" في اللغة مأخوذة من كلمة (عَقَدَ)، قال أحمد بن فارس[1] في معجم مقاييس اللغة: "(عَقَدَ) العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد شدَّة وُثوق"[2]، وبالتالي فهذه الكلمة تدل على كل شيء اشتد وصلب، وتطلق على كل أمر مستيقن يطمئن إليه القلب، وعلى الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل في ذلك المحسوس كعقد الحبل، ثم توسع في المعاني المعنوية، كعقد النكاح، وتطلق - أيضًا- على كل ما اتصل بغيره واستحكم، ثم استعملت في التصميم والاعتقاد الجازم، وخلاصة معنى العقيدة في اللغة: الشد، الربط، الإحكام، القوة، البناء، الثبات، العهد المؤكد[3].

ومن خلال هذه الدلالات اللغوية، يتبين للباحث أن (العقيدة) في اللغة تدور حول معاني الوثوق والشدة واللزوم، والصلابة والربط الشديد، وتستعمل في المعتقدات الفكرية القائمة على التصديق وعقد القلب على شيء لا يقبل الشك.

2- تعريف مفهوم العقيدة اصطلاحًا:

يختلف مفهوم العقيدة عند المسلمين عنه عند غيرهم عمومًا، والمسيحيين على وجه الخصوص، مما يدعو الباحث إلى عرض مفهوم العقيدة عند كلا الطرفين؛ لمعرفة الاختلاف في تحديد المفهوم، وذلك على النحو الآتي:

أ- تعريف العقيدة عند المسلمين:

على الرغم من أن لفظ العقيدة في الاصطلاح الإسلامي العام لا يبعد كثيرًا عن المعنى اللغوي، إلا أن تعريفات المسلمين للعقيدة قد توزعت في اتجاهات متعددة، يمكن حصرها في اتجاهين:

الأول: يقصر مفهوم العقيدة على التصديق القلبي والقناعة الفكرية فقط، وهؤلاء قد عرفوا العقيدة بأنها: التصورات الفكرية اليقينية التي يؤمن بها الإنسان، عن الإله والكون والحياة والنفس، والعلاقة بينها[4].

بينما الاتجاه الثاني: يضيف العمل إلى التصديق والقناعة، واعتبار مفهوم العقيدة مرادف لمفهوم لإيمان، وبالتالي فإن العقيدة عند أصحاب هذا الاتجاه تعني: التصورات الفكرية اليقينية التي يؤمن بها الفرد وتوجه سلوكه في الحياة[5].

ويرجح الباحث التعريف الذي اختاره أصحاب هذا الاتجاه الأخير؛ وذلك لأن الاصطلاح الشرعي لمفهوم العقيدة ارتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الإيمان، باعتبار أن كل منهما ينوب عن الآخر في صدق القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح.

ب- **تعريف العقيدة عند المسيحيين:**

اقتصر معنى العقيدة في اصطلاحهم على جانب الوهم والانفعال، باعتبار الإيمان شعور يخضع لمؤثرات خارجية، يدفع الإنسان إلى التصديق بقضية ما، وفي هذا الصدد يرى صاحب المعجم الفلسفي[6] أن المسيحيين إزاء هذا الشعور اختلفوا إلى فريقين:

الأول: يرى أن هذا الشعور مبني على الوهم والعاطفة، ولا علاقة له بالعقل، ولعل أبرز من يمثل هذا الفريق هو غوستاف لوبون[7] الذي عرَّف العقيدة بأنها: إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يُكره الإنسان على التصديق بقضية من القضايا من غير دليل؛ بحيث يُبنى هذا الاعتقاد على العاطفة لا العقل[8].

والملاحظ أن أصحاب هذا الفريق ينكرون أي علاقة للعقل بالعقيدة، بل يحيلون هذه العقيدة إلى قضايا لا شعورية مفروضة على الإنسان، ويربطونها بالميولات والعواطف، الأمر الذي دفعهم إلى فصل مجال العقل عن مجال العقيدة، لا سيما بعد حملة التحريض التي قامت به الكنسية ضد المنادين بتحرير العقل من الأوهام والخرافات من جهة، أو المطالبين بوقف الحرب على العلم وتشجيع مجالاته من جهة أخرى.

بينما يرى الفريق الثاني أن العقيدة مبنية على العقل والإرادة، ويعد أي رأي معترف به أو متفق عليه عقيدة، وأبرز من يمثل هذا الفريق هو الفيلسوف رينيه ديكارت[9] الذي وضح معنى العقيدة بأنها الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد[10].

على وفق ما تقدم، يتضح للباحث الفرق بين مفهوم العقيدة في التصور الإسلامي القائم على الوعي والتدبر فضلاً عن التوجيه السلوكي للفرد المسلم في شتى مجالاته في الحياة، وبين اقتصار هذا المفهوم في التصور المسيحي على الأوهام، أو العواطف، أو رأي مجمع عليه بين البعض، ولا علاقة له بالحياة العلمية والعملية أو حتى بالتوجيه السلوكي للفرد المسيحي.

3- التعريف الإجرائي لمفهوم العقيدة:

يقصد الباحث بهذا المفهوم: كل ما يؤمن به الإنسان من تصورات يقينية توجه سلوكه في الحياة العامة.

ثانيًا: تعريف المسيحية في القواميس العربية والإنجليزية:

1- معنى «المسيحية» في القواميس العربية:

جاء في لسان العرب[11] أن المسح: القول الحسن، ومسَّح الشيء بالغ في مسحه، ومسيح لقب على عيسى بن مريم عليه السلام؛ لأنه يمسح الأرض أو مُسح بالبركة، وأصل اسم (المَسِيحِيَّةٌ) مفرد مؤنث، وجذرها (مسح)[12]، وقد تناول الرازي[13] لفظ «المسيحية» و«المسيح» بالدراسة والتحليل، أهو اسم مشتق أو موضوع؟ فبيَّن أن أصله بالعبرانية مشيحًا، فعرَّبته العرب، وغيروا لفظه، وعيسى: أصله يشوع، لكنه رجَّح أنه مشتق، من أن عيسى عليه السلام كان لا يمسح بيده ذا عاهة، إلا شُفي من مرضه، أو أنه كان يمسح الأرض،

أي: يقطعها؛ فعلى هذه الأقوال: هو فعيل بمعنى: فاعل[14]، وهو ما يرجحه الباحث -كذلك- لأن الله جعل الشفاء على يد عيسى عليه السلام بالمسح على المرضى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾

[سورة المائدة: 110].

2- معنى «المسيحية» في القواميس الإنجليزية:

تستخدم القواميس الإنجليزية للتعبير عن المسيحية المصطلح: "Christianity"، وجاءت الاشتقاقات اللغوية تبعًا لهذا المصطلح، فالمسيحي يُعبر عنه بـ "Christiam"، والبلاد المسيحية: "Christendom"، ولمن يمثل المسيحية: "Christian" وتناولت تعريف كلمة "Christianity" على أنها "ديانة الأشخاص الذي يقبلون المسيح يسوع كالله المتجسد، وينقادون بالروح القدس"[15].

وبحسب كل القواميس العربية والإنجليزية، يأتي تعريف المسيحي بأنه المنتسب للمسيح عليه السلام أو التابع له، لكن يبقى أنه لا يكشف عن نوع التبعية، أو كيفية الانتساب للمسيح عليه السلام.

3- تعريف «المسيحية» في الاصطلاح:

تطلق المسيحية على أتباع المسيح عليه السلام، ونشرها تلاميذ الحواريين في فلسطين، والمستعمل في الكلام نصراني ونصرانية، نسبة للذين ناصروا المسيح عليه السلام[16]، فالمسيحية ليست ديانة كما هو شائع، بل هي إيمان بمن هو السيد المسيح عليه السلام، وبما فعله لأجل البشرية، وباعتقادنا أن أنسب تسمية لها هي: «الإيمان المسيحي»[17].

وثمة فرق واضح بين الإيمان المسيحي (مجموعة من العقائد التي نسجت بالفلسفة الإغريقية على أسس اليهودية)، وبين دين المسيح عليه السلام (العقيدة السمحة السهلة التي تمسك بها نفسه عليه السلام ودعت إلى توحيد الله)[18]، وبالتالي فإن مسمى (المسيحيين) لم يطلق على أتباع المسيح عليه السلام ابتداءً، وإنما أطلق - لأول مرة في التاريخ- على أتباع بولس[19] من الوثنيين؛ إذْ إنه لما دعا الناس إلى التوحيد لم يدعهم برسالة المسيح عليه السلام، وإنما دعاهم إلى الاعتقاد بأن المسيح ابن الله المخلص، فتحولت عقيدتهم من التوحيدية إلى الشركية، وأصبحت لا تتوافق مع واقع النصارى القديم، والمسيحية الحديثة بالنسبة إلى النصرانية، ولعل في نسبتهم له خطأ فاحشًا؛ إذ يلزم منه عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عليه السلام، وهو بريء منهم.

ثالثًا: التعريف الإجرائي للعقائد المسيحية:

يقصد الباحث بالعقائد المسيحية: (جملة الأفكار والمبادئ والتصورات المعتمدة على مجموعة من النصوص المقدسة وخاصة الكتاب المقدس، وعلى التعاليم التي نشأت عن الكنيسة على مر العصور، والتي تتناول قضايا أساسية يؤمن بها المنتسبون إلى المسيح عليه السلام ويجسدونها في سلوكياتهم اليومية).

المبحث الأول: التعريف بالفاروقي وبكتابه وأثر الفكر الغربي في منهجه:

المطلب الأول: التعريف بالدكتور الفاروقي:

هو إسماعيل راجي أبو الهدى الفاروقي، وُلد في مدينة يافا بفلسطين عام 1341هـ/1921م، ونشأ في أسرة فلسطينية عريقة وثرية، جمعت بين العلم والمال؛ إذ كان والده يعمل قاضيًا متمرسًا في العلوم الشرعية[20]، بدأ مسيرته العلمية وحياته التربوية متأثرًا بأسرته التي كان لها عظيم الأثر في تربيته الأولى؛ إذ كان لوالده الدور الأبرز في تشجيعه على حفظ القرآن الكريم في سنينه الأولى؛ ليلتحق بعدها في مقاعد الدراسة في مدرسة الإخوة الدومينيكان[21]، واستمر فيها حتى أنهى دراسته الثانوية، ثم انتقل إلى بيروت للدراسة الجامعية؛ فالتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة الأمريكية، حتى حصل على درجة البكالوريوس في الفلسفة عام 1941م، وكان لهذه المراحل عظيم الأثر في تكوين شخصيته العلمية والثقافية، لا سيما والناس في ذلك الزمان كانوا يعانون من سياسة الاحتلال، التي تحاول جاهدة تجهيل الجيل، وإبعاده عن التعليم[22].

وعقب الأحداث الجسيمة التي وقعت على فلسطين، هاجر مع أسرته إلى لبنان عام 1948م، وتحول صوب المجال الأكاديمي، فوقع اختياره على الولايات المتحدة الأمريكية لتكون ميدان تعليمه في هذا المجال، وذلك لما لها من تأثير عالمي على جميع المستويات، ولقوة مخرجات التعليم فيها، كما أنه كان متضلعًا باللغتين الإنجليزية والفرنسية[23].

وعلى الرغم من انشغال الفاروقي ببعض الأعمال الحرة في مدينة بنسلفانيا؛ لجمع المال وتغطية التزاماته المادية، فإن ذلك لم ينقص من حماسته في مواصلة التحصيل المعرفي، وبقي على عزمه على الدراسة والبحث العلمي؛ فقد التحق بجامعة هارفارد حتى نال منها شهادة الماجستير عام 1950م، ولم يلبث أن ناقش أطروحته الموسومة بـ: «نظرية الخير الجوانب الميتافيزيقية والإبستمولوجية للقيم»، حصل من خلالها على درجة الدكتوراه من جامعة أنديانا في أواخر عام 1953م.

الجدير بالإشارة أن شخصيته الفكرية تميزت بعمق النظر وغزارة الإنتاج؛ فقد وهب نفسه للعمل الإسلامي، وشغلته قضية «إسلامية المعرفة»[24]؛ حتى أصبحت حياته وهدفه، وكان بحكم كونه أستاذًا في الجامعات الأمريكية يُسخِّر معرفته وخبرته؛ لخدمة هذه القضية، وهذا الهدف، وله آراء متميزة وفريدة، في ضرورة تحويل كارثة فلسطين إلى قوة دافعة للشعب الفلسطيني؛ لكي يرتبط بالفكرة الإسلامية، وهو من المجددين المسلمين الملتزمين والعلماء المتميزين الذين أثروا الساحة العلمية بالكثير من الكتب والدراسات[25]، فضلاً عن ترجمة بعض الكتب من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية[26].

غير أن ختام مسيرته العلمية والفكرية قد حملت كل معاني الأسف والحزن، إذ تعرض

المفكر الفاروقي في أواخر السبعينيات للتهديدات أكثر من مرة، وكانت في مجملها تهدد بقتله إذا لم يتوقف عن الحديث عن الفلسطينيين وحقوقهم المشروعة، وقضيتهم العادلة، ولم يمضِ وقت طويل حتى تفاجأ أصدقاؤه ومحبيه بخبر اغتياله هو وزوجته لمياء الفاروقي في مساء يوم 19 رمضان عام 1406هـ الموافق 27 مايو عام 1986م، على يد جوزيف بانج[27]، ولم يُعثر عليه إلا بعد أن أعلنت الجالية الإسلامية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، عن جائزة كبرى، قدرها خمسون ألف دولار لمن يدلُّ على القاتل[28].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب: "الأخلاق المسيحية" ومنهج المؤلف فيه:

اسم هذا الكتاب وعنوانه هو:(الأخلاق المسيحية: تحليل تاريخي ومنهجي لأفكارها السائدة) وباللغة الإنجليزية:(Christian Ethies: A Systematic and Historical Analysis of Its Dominant Ideas)، وهو من تأليف المفكر إسماعيل الفاروقي، الذي كتب فصوله ومباحثه خلال الفترة بين عامي 1960-1962م، لكن تأخر طبعه لأكثر من خمس سنوات؛ إذ صدر بطبعته الأولى والوحيدة عن معهد الدراسات الإسلامية بمدينة مونتريال الكندية أواخر عام 1967م، وبلغت عدد صفحاته 337 صفحة من القطع الكبير.

ويتكون الكتاب من مقدمة منهجية تناول فيها مبادئ الفهم والتقييم، وقسمين: القسم الأول بعنوان: «ما هي أخلاق المسيح؟»، ويحتوي على أربعة فصول: الفصل الأول:(الخلفية اليهودية)، الفصل الثاني:(الاختراق الأخلاقي للمسيح)، الفصل الثالث:(الأخلاق الجديدة)، الفصل الرابع: (الصوفية الموازية)، أما القسم الثاني فعنوانه: «إعادة التقويم المسيحي» ويحتوي على ثلاثة فصول: الفصل الأول:(من هو الإنسان وصورته؟)، الفصل الثاني:(ما الذي يجب أن يكون عليه الإنسان؟ الخطيئة والخلاص والإثمية)، الفصل الثالث والأخير:(ما الذي يجب أن يكون عليه الإنسان؟ الكنيسة والمجتمع).

صدر الكتاب بنسخته الأصلية باللغة الإنجليزية؛ استجابة لطلب من معهد الدراسات الإسلامية والمتخصص بالحوار الإسلامي المسيحي، التابع لكلية الأديان بجامعة (ماكجيل) الكندية؛ إذ تم دعوة الفاروقي للالتحاق بهذه الجامعة عام 1958م، من أجل تقديم دراسات حديثة عن الفكر الديني المسيحي في ضوء سيادة نظرية صراع الأفكار والثقافات المعاصرة في الغرب، وتثوير المعرفة بالإسلام من قبل مفكر مسلم جمع بين الإيمان الديني والخلفية الإسلامية التي عمقتها دراسته في الأزهر من ناحية، وبين التكوين الأكاديمي الذي استفاده من دراسته في الغرب في مجال فلسفة الفكر الديني المعاصر من ناحية أخرى[29].

يُعد هذا الكتاب أبرز ما أنتجه الفكر الإسلامي المعاصر في نقض الأسس النظرية للعقائد المسيحية، وفق تحليل تاريخي ومنهجي للأفكار المسيحية المعاصرة ونقدها، فقد حاول

الفاروقي من خلال هذا الكتاب أن يستكشف جوانب الفكر الأخلاقي المسيحي من المنظور التاريخي والمنهجي، ويحلل تطوره وأفكاره وتصوراته، في ضوء تأسيس الفاروقي للمنهج الجديد الذي يقوم بدور التحليل النقدي للقضايا الدينية المدروسة وفق السياق التاريخي الديناميكي، وأطلق عليه اسم "الماورائي"[30].

وقد رسم الفاروقي في مقدمة كتابه الأسس المنهجية والنظرية في دراسة الفكر الديني المسيحي عمومًا، والأخلاق المسيحية على وجه الخصوص، فضلاً عن توجيه المؤلف خطابًا إلى المجتمع الديني العالمي، وضَّح من خلاله الحاجة إلى معالجة جوانب النقص في دراسة الأخلاق المسيحية؛ فقد خصَّص القسم الأول – بفصوله الأربعة سالفة الذكر– لعرض القيم القديمة الأخلاقية ومقارنتها بالجديدة، في ضوء الإجابات الموضوعية والمقاربة التاريخية التي رد بها عن السؤال الكبير: ما هي أخلاق المسيح؟، وتناول من خلالها الخلفية اليهودية، وطبيعة العنصرية العبرية، والوضع الأخلاقي السياسي في زمن المسيح ﷺ، ثم عرج على ردة الفعل للأخلاق اليهودية، وأخلاق القصد (النية)، بهدف التخلص النهائي من الشريعة، وهذا ما جعله يعقد المقارنة بين القيم القديمة والجديدة، في عدة مجالات سياسية، واجتماعية، وشخصية، وكونية[31].

ثم كرَّس القسم الثاني لاستعراض سُبُل إعادة التقويم المسيحي، على وفق مراحل تاريخية متعددة ومختلفة، إذ بدأ الفاروقي تلك المراحل بالمسيحية المتأثرة بالفكر الهيليني[32]، يليها مسيحية ما قبل الإصلاح ومقارنتها بالمسيحية الإصلاحية، وختم بالمسيحية المعاصرة، ثم تناول المؤلف المباحث العقدية المرتبطة بفكرة الخطيئة الأولى للبشر والخلاص منها، في ضوء سيادة نظرية الإثمية في الفكر المسيحي المعاصر، التي تجعل الإنسان مخلوقًا ساقطًا، واعتمد في نقض هذه النظرية على تحليل نقدي للأسباب الفكرية والتاريخية التي صنعت فكرة السقوط اليهودية، ووسعت الخلاف حول تفسير طبيعة الإنقاذ الخلاصي، وختم هذا القسم بالحديث عن قضايا أخرى لا تقل أهمية عن القضايا السابقة، كالمجتمعية، الفردانية، المسيحانية، اللاهوت التقليدي والمعاصر[33].

والملاحظ على منهج الفاروقي في كتابه، أنه أجاد تحليل الأفكار السائدة ووصف العقائد المسيحية المتوارثة على وفق سياق النقد التاريخي، الذي لم يخرج عن إطار التقييم الموضوعي المعتمد للحكم على القضايا الدينية، في ضوء الأفهام التي يقدمها معتنقوها، وأنه ربط العقائد المسيحية بالأخلاق الجديدة، التي غيَّرها المسيح ﷺ في اليهود، لكن حواريه حوَّلوا رؤيته الأخلاقية، والمنزلة من عند الله، إلى نظام مُطلق، على عكس ما كان عند اليهود تمامًا، وأنه وُفِّقَ في اختيار منهج الحوار والجدل الديني؛ حيث جادل به علماء اللاهوت المسيحي في صميم معتقداتهم، ولم ينطلق في مناقشتها من وجهة نظر إسلامية بحتة، بل من منظور إنساني موضوعي

متجرد، وقرر جملة من المبادئ النقدية للعقائد المسيحية بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومن هنا فإن وجه الابتكار في تحرير كتاب الفاروقي، ليس كونه دراسة نقدية للمسيحية، بل التحليل المقارن الكاشف لحقيقتها، وذلك لتمكنه من إيجاد طريقة تجمع بين أسلوبه في نقد عقائدها، وبين امتثاله لتطبيق الموضوعية، من خلال اعتماده على إجراء التوقف، إلى حين فهم أبعادها، والتمكن من الحكم عليها حكمًا دقيقًا، أو نقدها نقدًا موضوعيًا ومنهجيًا(34).

وعلى الرغم من تميز كتاب الفاروقي في مجال الدراسة الدينية النقدية المقارنة، إلا أن صدور هذا الكتاب عن جامعة ماكيجل، لم يرقَ لعدد من القسيس والمشرفين على الجامعة بحجة أنه يزلزل الإيمان المسيحي في قلوب قُرائه، ودعوا المؤلف إلى التراجع عن بعض ما ورد في كتابه، لكنه لم يستجب لمطالبهم، وظلَّ كتابه كما هو، وباعتقادنا أن هذه المعارضة والإهمال قد أثَّرت على مستقبل الكتاب من ناحيتين:

الأولى: تأخر نشر الكتاب وإصداره في الغرب لأكثر من خمس سنوات كما سبق، دون اكتراث للجهد الكبير الذي قام به الفاروقي في تأليف كتابه على مدى عامين، بوصفه أنموذجًا إسلاميًا متميزًا في دراسة الفكر الديني المسيحي وفقاً لتحليل تاريخي للأفكار السائدة.

أما الثانية: فهي غياب الاهتمام بترجمة الكتاب في الأوساط الفكرية الإسلامية حتى الآن، وما تزال المكتبة الإسلامية تنتظر من يقوم بترجمة هذا الكتاب، لا سيما بعد ظهور ترجمات متميزة لبعض كتب الفاروقي(35).

على الرغم من هذا الإهمال، إلا أن الكتاب لم يفقد قيمته العلمية والمنهجية، ولذلك سوف يعتمد الباحث في معرض كشفه عن منهج نقد الفاروقي للعقائد المسيحية على ما تناوله في كتابه "الأخلاق المسيحية Christian Ethies" بصورة أساسية، وعلى بعض القراءات والمراجعات التفصيلية باللغة العربية لهذا الكتاب، مثل قراءة ومراجعة الدكتور عامر عدنان الحافي أستاذ الأديان المشارك بجامعة آل البيت بالمملكة الأردنية(36) المشار إليها سابقًا، فضلاً عن مجموعة الأبحاث المقدمة إلى المؤتمر الدولي الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي حول إسهامات الفاروقي في الفكر الإسلامي، عام 2011م، لاحقًا جُمعت تلك الأبحاث بكتاب صدر عن دار الفتح للدراسات والنشر بالأردن عام 2014م بعنوان: «إسماعيل الفاروقي: وإسهاماته في الاصلاح الفكري الإسلامي المعاصر».

إلى جانب تلك القراءات والمراجعات، فقد أفاد الباحث أيضًا من أحد اللقاءات العلمية حول عرض كتاب الفاروقي سالف الذكر؛ إذْ قام الدكتور إبراهيم الزين، بصفته يمثل أحد أبرز طلاب الفاروقي رحمه الله تعالى، بتسجيل لقاء علمي تم بثُّه على اليوتيوب بتاريخ 17 مارس 2024م، عرض من خلاله كتاب "الأخلاق المسيحية" عرضًا دقيقًا ومفصلاً، كما ردَّ – كذلك – على بعض الأسئلة التي وُجهت إليه حول جملة

من الموضوعات التي ناقشها الكتاب، فضلاً عن بيان موقف الفاروقي حول بعض القضايا والإشكالات في الفكر الديني المسيحي(37).

المطلب الثالث: تحليل أثر الفكر الغربي في فهم الفاروقي للعقائد المسيحية من خلال هذا الكتاب:

إن الفكر الغربي هو حصيلة الصراع الذي دار بين المفكرين الأوروبيين والكنيسة لوقت طويل، وهذا الفكر جمع بين طيات أفكاره الروح الإغريقية الوثنية والفكر الروماني القديم والفكر اليهودي والعقائد الوثنية في المسيحية، التي تنطلق من الإلحاد (الإيمان بإلهية المسيح والتثليث)؛ إذ تم إلغاء دور الخالق، وجعل من الإنسان مركز الكون.

درس الفاروقي الفكر الديني المسيحي دراسة جادة، بعيدًا عن الدراسات الجدلية التي تعيد إنتاج أجواء ثقافات الصراع التاريخية، وبالرغم من أنه اقتصر على دراسة جوانب محددة، وبدون عمق أو توسع كما فعل في أثناء دراسته لليهودية، إلا أنه أكد أن الفكر الإسلامي ما يزال قادرًا على الولوج في أغوار العقائد المسيحية وأخلاقها، ومنظوماتها الفكرية(38).

ويبدو أن الفاروقي قد تأثر بمفاهيم الفكر الغربي الذي عايشه من الداخل، حينما اختار اسم (المسيحية) دون غيره، جريًا على عادة المجتمع الغربي في إطلاق المفاهيم والمصطلحات العقدية؛ وباعتقادنا أن دافع هذا الاختيار يرجع إلى تأثر الفاروقي الكبير بالمدرسة الغربية التي تخرج منها، والتي كانت تسعى إلى التعريف بالديانة تحت أي مسمى، ولرواج هذه التسمية في الأدبيات الفكرية والتاريخية العربية منها والأجنبية، فضلاً عن رغبته الشخصية بعدم الدخول في الخلاف اللفظي على وفق قاعدة (لا مشاحة في الاصطلاح)، واكتفى بالتسمية التي التزم بها المترجمون لمعنى المسيحية ومضامينها التي تتفق مع (النصرانية) بترجمة واحدة، هي: «Christians».

على أن هذه المبررات التي دفعت بالفاروقي إلى اختيار اسم المسيحية، وتفضيله على غيره من الناحية العقدية، لا تتوافق باعتقادنا مع واقع النصارى اليوم، بعد انحرافهم عن دين المسيح عليه السلام، ويلزم من نسبتهم له، عزو كفرهم وانحرافهم إلى المسيح، وهو بريء منهم؛ ولذلك فقد أكد الفاروقي أن الفكر المسيحي الحديث لا يمثل أخلاق المسيح، وبات معاديًا للقيم الاجتماعية، التي لا يمكن لها أن تتصالح مع الإلحاد ونظرية الإثمية، ونزعة الخلاص من الخطيئة المتوارثة.

وإذا كانت هذه الإشكالات مرتبطة في عمومها بأثر الفكر الغربي في فهم العقائد المسيحية، في ضوء قابلية التغيير والتبديل والتأثير بين الأفكار والعقائد، فقد وجد الباحث أن فكرتي التأثير والتأثر بين الفكر والعقيدة خضعت عند الفاروقي لاعتبارين اثنين:

أولها: أن ثمة توجهًا طغى في الأوساط الفكرية المسيحية، يدعو إلى عزل العقل وإحلال الشعور، إذ التفكير السوي لا يسوغ الاعتقاد بانحرافات لا يقبلها العقل، كالتثليث، وصلب الإله،

وموته، وإعادته إلى الحياة، وتخليص البشر بتعذيبه، وإنما الشعور المسيحي يسوغ ذلك لدى المسيحيين المؤمنين بتلك العقائد.

وثانيها: أن أغلب المرجعيات الفكرية والأخلاقية، توصف بأنها مادية مجردة من القيم، وتصطبغ الفكر الغربي الحديث بفلسفة التفكيك الرافض لهذه المرجعيات، بهدف نسف أي أساس للحقيقة العقدية، وإظهارها مجردة من القيم الأخلاقية والجمالية والروحية، وقد أكد الفاروقي أن هذه الفلسفة كانت وما زالت بذرة كامنة في بنية العقل الغربي، بشقيه الفلسفي والديني، ويضرب لذلك نموذجًا بالخطيئة، وما نتج عنها من إفساد جبلة الإنسان، بحيث أصبحت لا يرجى منها خير، وعجزت عن الإتيان بالخلاص منها، حتى لزم أن يتجسد الإله، ويكفِّر عن الانسان خطيئة، ويحدث له خلاصه[39].

على أن الطبيعة المادية للفكر الغربي بصفة عامة لم تقطع اهتمامات المؤسسات التعليمية الغربية بالظاهرة الدينية، وإن وجد نوع من التهميش والاستخفاف بأثرها في مجالات الحياة المدنية العامة، لكن في الوقت نفسه يلاحظ الفاروقي أن هناك جهوداً بالغة الأهمية تبذلها المدارس الفكرية في خلق نمط معين من الفهم للظاهرة الدينية والعقدية بطريقة أعمق، وفي إطار أوسع، يتماشى مع المشروع الفكري العام الذي تسير عليه المجتمعات نحو تجلياتها في مجال الدراسات الدينية النقدية المقارنة، والتطورات التي حدثت في علم المناهج النقدية التي تتراكم حول التفسيرات التاريخية للعقائد المسيحية، من خلال مبادئ التعليق والوصف والمقارنة، بوصفها تمثل بوابة مهمة في المقاربة الموضوعية عند الفاروقي[40].

وتأسيسًا على هذه الاعتبارات، فإن بعض العقائد المسيحية لم تسلم من النقد التاريخي عند الفاروقي، لا سيما تلك التي تعمل على تغييب أي دور للتفكير العقلي، أو ترفض المرجعيات الأخلاقية, بوصفها تثبت مساس اليد البشرية بتلك العقائد، وتبرر احتياجها إلى إصلاح الخلل العقدي، وتقويم الانحراف الفكري، لكنه ليس إصلاحًا كالذي قام به مارتن لوثر[41] ضد سلطة الكنيسة، وإنما ضد سلطة التراث المتراكمة، ودعا الفاروقي – في الوقت ذاته – جماهير المسيحيين إلى إعادة وتجديد معالم العقيدة الصحيحة، وكشف التحريف الذي طال الأصول العقائدية والتشريعية[42].

ويأتي هذا الكتاب سالف الذكر، في سياق محاولة تسليط الضوء على إسهام علمي مهم، حاول الفاروقي من خلاله الكشف عن معظم المبادئ النظرية التي تساعد على فهم العقائد المسيحية، في ضوء التفسيرات والأفهام التي يقدمها معتنقوها، دون تحيز أو تأثر بخلفيات تاريخية أو دينية أو مذهبية، من شأنها أن تشوه الفهم السليم لمضامين العقائد الخاضعة للبحث والدراسة، ويمكن إجمال هذه المبادئ التي تناولها الفاروقي في خمسة مبادئ:

أولها: التناغم الداخلي وعدم التناقض: ويعني به أن أي عقيدة يفترض ألا تتعارض العناصر

المكونة لها، وألا تختلف اختلافًا يفضي إلى التناقض بين مكوناتها وعناصرها؛ فلا يمكن أن يكون داخل النظام الواحد تناقض في أساسيات العقيدة، ويمكن أن تكون التناقضات البسيطة التي لا تتعلق بالقضايا الأساسية في الدين مقبولة، ويعد هذا المبدأ بالنسبة للفاروقي بمثابة قانون يحكم بصحة النصوص الدينية، أو بصحة الوحي(43).

وثانيها: الانسجام مع المعرفة الإنسانية المتراكمة: ومقتضاه أن أي عقيدة مسيحية لا يمكن أن تكون ثابتة وحيًا، ومقبولة عقلاً، ما لم تنسجم - في الغالب- مع المعرفة الإنسانية المتراكمة، وتُشكِّل عوامل حسم في فهم المبادئ العقدية(44).

وثالثها: اتساق الحقيقة الدينية مع الخبرات الإنسانية: ومقتضاه أن الإله إذا كان هو مصدر الوحي، فإن المؤكد أن مصدر التشريعات الدينية واحد؛ إذ لا يتصور أن تتعارض مع بعضها البعض، كما لا يمكن أن يتصور تعارض أوامر الله، وإن كان ثمة تطور في بعض قضاياها، إلا أن ذلك لا يعني التعارض؛ فالوحي في حقيقته يكشف عن مبدأ وحدة المصدر والحقيقة، وبالتالي فإن أحد جوانب نقد الفاروقي للعقائد المسيحية يرجع إلى مخالفتها لهذا المبدأ(45).

ورابعها: الانسجام والمناسبة للواقع الإنساني: ومقتضاه أن الحقائق والمعتقدات المسيحية يجب ألا تتعارض مع الواقع، وأن دليل صحتها وشرعيتها تكمن في انسجامها ومناسبتها للواقع، ويذهب الفاروقي بعيدًا في تفسير هذا المبدأ؛ إذ يرى أن الدين الذي تقوم غيبياته على افتراضات تتعارض مع الأحداث الواقعية، لا بد وأنها ستُعنى بمراجعة أطروحاتها في ضوء الحقائق التي تعارضها؛ فالوحي ينبغي أن يكون منسجمًا مع الحقيقة التي يعيشها البشر في تجاربهم الإنسانية، ولا وجود لحقيقة دينية تتناقض مع التجربة والمعرفة التي تحققت منها البشرية، استنادًا إلى الخبرات الإنسانية الواقعية(46).

وخامسها: مبدأ خدمة الدين للهدف الحق، وهو الأخلاق والقيم العليا: ومقتضاه أن الهدف من كل دين (تشريع) يجب أن يكون خيرًا، وإذا كان يهدف إلى أي شيء غير تعميم الخير وتحقيق السلام، فلا يمكن أن يكون دينًا صحيحًا، وبالتالي لا يتصور أن يكون الإنسان مأمورًا بشيء لا يستطيع فعله، وهذا المبدأ يخدم الباحثين في نقد عقائد المسيحية، واكتشاف الإضافات البشرية فيها؛ فما توافق منها مع هذا الهدف قُبلت، وما تعارض منها استحال أن يكون من عند الله(47).

وعند تطبيق الفاروقي لهذه المبادئ في دراسة العقائد المسيحية ونقدها، تبين له أن تناقض النصوص الدينية التي قدمت توصيفات عقدية حول طبيعة المسيح عليه السلام يثبت أنها تعرضت للإضافات البشرية؛ إذ يستحيل صدور هذا التناقض عن الوحي، مما أوقع تلك النصوص المقدسة عند المسيحيين في مأزق كبير.

وعلى العموم، فقد بذل الفاروقي جهدًا نظريًا مهمًا يساعد في فهم العقائد المسيحية ونقدها، في ضوء واقع التعاليم المسيحية السائدة التي ابتعدت عن تعاليم المسيح عليه السلام، فتلك التعاليم التي حكمت

الفهم المسيحي للخطيئة والخلاص، وقبل ذلك إلهية المسيح، قد سيطرت على الإيمان المسيحي، والمقررات العقدية التي مثَّلت الصيغة الوحيدة لما جاء به المسيح ﷺ، باعتبارها مقررات يمكن نقدها، من خلال تكوينها العقدي، وتطورها التاريخي[48].

المبحث الثاني: الأسس المنهجية والنظرية في نقد الفاروقي للعقائد المسيحية:

المطلب الأول: مصادر نقده للعقائد المسيحية:

يجد المتتبع أن مصادر الفاروقي في دراسته التحليلية النقدية للعقائد المسيحية، جمعت بين مصادر الفكر الإسلامي، الذي نشأ في أوساطه بداية حياته، وبين مصادر الفكر المسيحي الغربي، الذي ترعرع فيه، وتلقى معارفه من خلاله، ومع امتزاج الفكرين تبلورت أسس نظرية تسند دراسته، وتضبط مضامين بحثه، ويمكن بيان هذه المصادر في الآتي:

أولاً: المصادر الإسلامية:

اهتم الفاروقي بما قرره القرآن الكريم حول انحراف بعض التصورات العقدية المسيحية، وتأثر بمنهجه بعض النقاد من اليهود والمسيحيين في دراستهم للعهد القديم؛ إذ "دفعهم حبهم للاستطلاع؛ لدراسة القرآن الكريم؛ بحثًا وراء ما يلقي الضوء على العهد القديم الذي كانوا يدرسونه بقصد تفهمه تفهمًا، علميًا، نقديًا، تحليليًا، وفي دراستهم للقرآن تشبعوا بالمبدأ القائل: بأن بني إسرائيل تلاعبوا في كتابهم المقدس وحرفوه"[49]، وقارن ما جاء في القرآن بما ورد في التوراة؛ ليؤكد التحريف الذي وقع على الأخير؛ وليوضح ما لا يُعلم إلا بنصوص الوحي[50]، ويقدم ترجمة القرآن باللغة الإنجليزية بما يحافظ على المعنى الكامل للآية، وهذا يكشف عن قدرته الفائقة على استحضار الآية مع ترجمة معناها[51].

وإلى جانب الاهتمام بما قرره القرآن حول عقائد المسيحية، يسعى الفاروقي إلى الاستدلال – كذلك– بما ورد في السنة النبوية، بوصفها مصدرًا أساسيًا في ترجمة حقائق الوحي العامة إلى نُظُم أخلاقية، وقواعد سلوكية، وعبَّر الفاروقي عن مفهومها بأنها: "مجموعة من أقوال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأعماله وإقراره، وتشمل آراءه، إضافة إلى الممارسات التي رضي عنها بوصفها تليق بمسلك المسلمين، وتقوم على الكلمات المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم"[52].

ويبدو أن الفاروقي يتفق في هذا التعريف مع ما ذهب إليه علماء الحديث حول تعريف السنة النبوية بأنها "كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، سواء أدل ذلك على حكم شرعي أم لا"[53]، ولعل هذا الاتفاق يرجع إلى أن مفهوم السنة اتجه إلى هذا المعنى، وعليه وضعت الأسس لمعرفة الأحاديث الصحيحة من ضعيفها.

غير أن الفاروقي لم يكثر من الاستدلال بالسنة النبوية في معرض نقده للعقائد المسيحية، منها على سبيل المثال: في سياق حديثه عن نظرة

المسيحية للإنسان بأنه صورة الله ... عقب الفاروقي على هذه العقيدة بأنها من تأثير الفكر الإسلامي على اللاهوت المسيحي التي تؤكد عقلانية الإنسان وتكريمه في خلق الله الإنسان على صورته[54]، وهو بهذه المقارنة يشير إلى حديث: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا..»[55]. والحديث السابق فيه خلاف مشهور بين أهل العلم في تفسيره، في المقابل استدل الفاروقي بأحاديث كثيرة في معرض حديثه عن موضوعات خارجة عن موضوع الدراسة[56].

الجدير بالإشارة أن الفاروقي رجع إلى بعض مصادر الفكر الإسلامي[57] في معرض حديثه عن المسيحية في كتابات أخرى غير كتابه موضوع البحث.

ثانيًا: المصادر المسيحية:

تبلورت معظم المصادر المسيحية التي اعتمد عليها الفاروقي في نقد عقائد المسيحية إلى ثلاثة مصادر:

1- المصادر المقدسة (الأناجيل): أفاد الفاروفي من نصوص الأناجيل وشواهدها المقدسة أثناء حديثه عن نشأة العقائد المسيحية، بوصفها تمثل أقوى طرق الاستدلال في دراسة العقائد المسيحية ونقدها، وذلك مثل وصفه للكنيسة بأنها "مكان تجمع الرجال" يطابق ما ورد في إنجيل متى «18/7-19»[58]، وكذلك فإن نقده لجوهر العقيدة المسيحية المبني على قاعدة: "فكل ما تريدون أن يعاملكم الناس به؛ فعاملوهم أنتم به أيضًا" يتفق مع إنجيل متى «12/7-13»[59].

2- المجامع النصرانية (اللقاءات الكنسية): بيَّن الفاروقي أنها مصدر عند الكاثوليك الذين يعترفون بها جميعًا، وأن الأرثوذكس لا يعترفون إلا بالأربعة الأولى منها فقط[60]، وهناك شواهد كثيرة تثبت اعتماده في نقد بعض العقائد المسيحية على قرارات المجامع، منها إثباته أن عقيدة التجسد صيغت -لأول مرة- في مجمع نيقية، وتطورت تفسيراتها العقدية حتى القرن السادس الميلادي[61].

3- المصادر غير المقدسة (التراثية): اعتمد الفاروقي على جملة من مصادر التراث المسيحي، لا سيما المعارضة للمسيحية التقليدية، فقد أفاد منها في تحليل موضوعات متعددة، مثل إعادة اكتشاف المسيحية في ضوء قواعدها الأخلاقية[62]، واستعراض بعض الفرق والتيارات المسيحية[63]، ونقد بعض عقائد المسيحية بصفة عامة، سواء ما صرح به في كتابه "الأخلاق المسيحية"[64]، أو في غيره من الكتب[65].

وهكذا يتبين للباحث مدى تنوع المصادر التي اعتمد عليها الفاروقي في نقده للعقائد المسيحية، مما أكسب منهجه قوة وتماسكًا، من خلال انتقاء المفاهيم والمصطلحات والعبارات المتعارف عليها في الأدبيات الفكرية والتاريخية عند المسيحيين في الغرب.

المطلب الثاني: مناهج نقده للعقائد المسيحية:

وظَّف الفاروقي في معرض نقده للعقائد المسيحية عدة مناهج، والتي وإن لم يكن مصرحًا بها في كل الأحوال، إلا أنه يمكن التعرف عليها

من خلال الاستقراء والتتبع لأسلوب المؤلف في دراسة المسألة العقدية ونقدها من خلال كتابه سالف الذكر، فقد تبين أنه لم يكتفِ بالمناهج التي كانت مستخدمة في نقد الأديان قبله، بل اقترح منهجًا جديدًا أسماه بـ (ما وراء الدين) –كما سيأتي الحديث عنه–؛ رغبة في صياغة نظرية إسلامية لنقد التشريعات والعقائد المختلفة عمومًا، والعقائد المسيحية على وجه الخصوص، بعيدًا عن أي مؤثرات خارجية، أو أحكام مسبقة، وفيما يلي يستعرض الباحث أهم تلك المناهج:

أولها: المنهج الوصفي: طبق الفاروقي هذا المنهج في دراسته لبعض عقائد المسيحية، من خلال استعراض تصورات المسيحيين أنفسهم لفكرة العقيدة المدروسة، كما تبلورت عبر مختلف تاريخ الفكر الديني المسيحي، وتقديم الحيثيات والعناصر والمعلومات المعينة على فهمها بالشكل الذي يفهمه معتقديها، وكذلك وصف مختلف مصادر الاستدلال الديني عند المسيحيين وتوظيفها في النقد الموضوعي للعقائد المسيحية، وفي هذا الصدد يذهب الباحث بلال التليدي[66] إلى أن ضابط موضوعية الباحث عند الفاروقي يتمثل في الأتباع أنفسهم، فهم من يحددون مصداقية الباحث، وما إذا كان منصفًا أم لا[67].

ثانيها: المنهج التاريخي: يعد هذا المنهج أحد أهم المناهج التي اعتمد عليها الفاروقي في نقد عقائد المسيحية، وذلك من خلال تتبع نشأة هذه العقائد، وتحديد مراحل تطورها في التاريخ المسيحي، وتحليل العوامل التي تأثرت بها، والكشف عن وضعها القائم، والتقييم النقدي لها بحسب فهم معتقديها، بوصفه يمثل ضرورة لا مفر منها، لا سيما في ظل الاشتباه والاختلاف بين عناصر هذه العقائد، وبين عناصر العقائد الأخرى، والمقارنة بينها[68].

غير أن الفاروقي قد لاحظ عدم نجاح المنهج التاريخي في الجمع بين الترتيب الإقليمي والترتيب التاريخي، واهتمامه فقط بالبحث في أنماط التغيير، والاعتماد على المنهج التطوري، واقتصاره على الكشف على المراحل التاريخية التي تمر بها العقائد المسيحية، والتطورات التي تصيبها، والتغيرات الناتجة عنها[69].

ثالثها: المنهج التحليلي: ربط الفاروقي تحليل الأفكار المسيحية بالنقد التاريخي الحديث والمعاصر، من خلال كتابه: "الأخلاق المسيحية"، الذي أضاف لعنوان هذا الكتاب عنوانًا فرعيًا بقوله: "تحليل تاريخي للأفكار السائدة"، ليؤكد اعتماده على المنهج التحليلي في دراسة المكونات الجزئية للعقائد المسيحية، وسبر عناصرها البسيطة، والبحث عن العلاقات الموجودة بينها، ويقرن التحليل بالنظام والترتيب والأنساق، ويبدأ عنده بالاستقصاء العلمي لما يقدم عليه من خطوات، حيال رصد الظواهر والإشكالات[70].

رابعها: المنهج المقارن: وظَّف الفاروقي هذا المنهج لمعرفة مستويات الاشتراك والتباين بين العقائد المسيحية وغيرها من العقائد الأخرى؛ بغية استخلاص أوجه الشبه، والاختلاف بينهما، وتحقيق ذلك لا يتم إلا عبر مراحل منهجية، يبدأ

من معرفة القضية التي يراد بحثها ودراستها، ثم تحديد نطاق المقارنة، وتتبع الحد الأقصى من مستويات التباين والاشتراك، والانتقال من المستويات الشكلية المتباينة، إلى المستويات الحقيقية، وصولاً إلى تفسير حالاتها بوضعها القائم، وهناك تطبيقات كثيرة لهذا المنهج عند الفاروقي، منها مقارنته لعقيدة التثليث المسيحية بما سبقها من عقائد الأمم الوثنية القديمة[71].

خامسها: المنهج الجدلي: جادل الفاروقي علماء اللاهوت المسيحي في عقائدهم، وفق عرض هذه العقائد والأفكار المسيحية بصفة عامة على المرجعيات الأخلاقية بنصوصها المقدسة، ونقد ما اقتبسته المسيحية من عقائد الأمم السابقة، كعقيدة الخطيئة والخلاص، وانتهج أسلوب حواري مسالم؛ لكسب ثقتهم، ثم لمخاطبتهم بالحجج العقلية، والبراهين المنطقية، مؤكدًا أن أنسب المناهج الراهنة في نقد هذه العقائد هو منهج الجدل الديني، نتيجة الفهم السطحي للتصورات العقدية عند بعض المسيحيين، بوصفها تمثل جانبًا مهمًا في التفسيرات التي توارثوها عن آبائهم، وأضفوا عليها العصمة والقداسة، وأصبحوا في حاجة إلى أساليب دعوية بعيدة عن الغلظة والشدة والقسوة، وتقوم على أسس عقلية مقنعة[72].

سادسها: المنهج الفينومينولوجي[73]: أفاد الفاروقي من هذا المنهج في الدراسة الوصفية للظواهر الدينية بصفة عامة، والعقائد المسيحية على وجه الخصوص، من خلال سعيه لفهم عقائد المسيحيين كما هي عليه في الواقع، أو كما يدركها الشعور الإنساني، أو كما تعرضها كتبهم المقدسة، بعد تحليل مضمون نصوصها ومعانيها ومقاصدها للوصول إلى الحكم عليها بموضوعية وحيادية تامة؛ وذلك حتى لا يدخل عنصر ذاتي في نقد هذه العقائد، قد يشوه أو يفسد حقيقتها، الأمر الذي أكد اهتمام الفاروقي بالدراسة الظاهراتية، بوصفها تترك الظواهر تتحدث عن نفسها، دون إقحامها في إطار فكري مقرر سلفًا، ومعايشة المعاني الواقعية بمختلف أبعادها، ومحاولة إصدار الحكم عليها[74]، وفق ثلاثة أسس:

1- رفض التأثيرات المسبقة عن الخلفية الدينية والعقدية، والتي عبر عنها الفاروقي بمفهوم (الإبوخية)[75]، ويعني: "تعطيل ما سبق من أحكام، ومعتقدات، وميول، في تفسير المعطيات، واستخلاص معانيها"[76].

2- فهم الظاهرة الدينية وفقاً للوقائع التاريخية، والمرجعيات الأخلاقية، في سبيل ترسيخ منظومة القيم، لكنه عاب على الظواهرية اكتفاءها بالوصف، وعزوفها عن النقد؛ ولذلك عدَّ التوقف مرحلة أولى، تتبعها مرحلة نقدية[77].

3- تقييم أفكار ومعتقدات المسيحية، على وفق معطيات الوحي، من دون أي تأثير للأفكار الموروثة، أو المكتسبة[78].

وعلى الرغم من كثرة تطبيق الفاروقي لهذه الإجراءات الظواهرية في نقد عقائد المسيحية، من خلال عرض اللاهوت المسيحي للروايات التاريخية، والنصوص الدينية، التي تصف هذه العقائد على وفق قناعات وتصورات معتقديها، فإن

بعض تطبيقات ظاهرية الفاروقي لم تسلم من النقد من قبل المفكرين الغربيين، لا سيما فيما ذهب إليه في كتابه "الأخلاق المسيحية"، الذي يرى فيه أحد هؤلاء[79] أنه "ظاهرةً في أدبيات المسلمين التبريرية".

ولعل هذا هو ما دعا الدكتور صالح مشوش[80] للدفاع عن الطرح الفكري الذي سار عليه الفاروقي في كتابه سالف الذكر؛ فقد وصف خطابه بالعقلاني المتزن، جعل الباحثين الغربيين المدافعين عن الأفكار المسيحية المتوارثة تاريخيًا يختلقون لغة نقدية لا لون لها، كما هو واضح في وصفهم لطرحه بـ (التبريرية المعقولة)، (التبريرية الإنسانية)، وأثبت فشل خصوم الفاروقي في استيعاب المفاهيم الإسلامية التي اعتمد عليها في دراسة الأخلاق المسيحية على وفق معالم النقد التاريخي[81].

سابعها: المنهج الماورائي: يتركب مفهوم (ما وراء الدين) من بنائه الاشتقاقي المركب من كلمتين: "ميتا" و"دين"، ولعل ذلك راجع إلى اللغة الإنجليزية التي اعتادت هذا التركيب في الدراسات الفلسفية، وهذا يستدعي ضرورة معرفة معنى الكلمة المركبة (الميتادين) أو (الماورائي)، باعتبارها ترجمة لكلمة ميتا meta، وتعني: بعد، ما وراء، وقد شاعت هذه الكلمة في الأدبيات الغربية بظهور مصطلح ميتا نقدي (ما وراء النقد)، وهو اتجاه نقدي، أدبي جديد هيمن على نموذج النقد الموجه للأعمال النقدية الأدبية[82].

وقد استلهم الفاروقي هذا المفهوم في نقد عقائد المسيحية؛ لينحت منه ما وراء الدين «Metareligion»، ويعني به التقييم، والنقد، وفق محورين اثنين:

المحور الأول: نقد الفكرة، إذ يرى الفاروقي أن نقد الفكرة الدينية هو مقدمة لأي دراسة مقارنة، تهدف إلى تحليل وتقييم الأفكار الرئيسة لأي ظاهرة دينية ونقدها؛ لأنها ليست أكثر من افتراضات، يجب على العقل الانساني الارتكاز عليها في تقييم أي تجربة دينية، ومن ثَمَّ فإن هذا التقييم يتيح للباحث فهم العقائد المسيحية، على وفق أفهام وتصورات معتقديها، وبعيدًا عن أي مؤثرات ذاتية أو خلفيات ثقافية أو دينية، ولعل استدعاءه لهذا النقد، يكمن في قصور الظواهرية عن استيفاء أغراض التقييم الموضوعي لهذه العقائد، لاكتفائها بالفهم والوصف، دون النقد[83].

أما المحور الثاني: فهو نقد ما توصل إليه العلماء والمفكرون من دراسة التشريعات والعقائد سابقًا، وقد طبقه الفاروقي أثناء حديثه عن الحركة النقدية للكتاب المقدس؛ من خلال نقده لمختلف النظريات حول مصادره الأربعة[84]، وتحديد الراجح منها[85].

مما سبق نفهم أن منهج الفاروقي في نقد عقائد المسيحية تجاوز الظواهرية الغربية بمفهومها الضيق، من خلال الاهتمام بالتحليل التاريخي للأفكار المسيحية السائدة ونقدها بموضوعية وحيادية، وأنه أظهر اهتمامًا بالغًا بمنهج ما وراء الدين، بوصفه يؤيد موقفه في الدفاع عن الإسلام،

الذي يعتقد أنه يجب أن يسود في الأرض، ولن يتم ذلك إلا من خلال الحكم على الأديان الأخرى وفقًا للنموذج المعياري النقدي، لا سيما في ظل المواقف العدائية الراهنة من الإسلام والمسلمين[86].

وبعد هذا العرض الموجز لمفهوم (ما وراء الدين) وأهميته في نقد وتقييم عقائد المسيحية، سنقدم فيما يلي أهم الأسس التي اعتمد عليها الفاروقي في صياغة النظرية الإسلامية لما وراء الدين؛ إذ أشار إلى أن هذه النظرية تقوم على منظومة من المبادئ العامة:

أولها: قيام الكون على علاقة ثلاثية بين الله تعالى والمخلوقات والإنسان.

وثانيها: وحدة دين الله، وأن جوهر دين الله هو التوحيد المرتكز على المفارقة المطلقة بين نظام عالمي: الخالق، والمخلوق، ومسؤولية الإنسان عن حفظ الأمانة، ومحاسبته عليها.

وثالثها: الأصل هو صحة الدين مالم يقم الدليل التاريخي الدامغ على عبث الإنسان به، أو على اختلاقه له.

ورابعها: وحدة مصدر كل من الوحي والعقل؛ فالوحي منزل من الله تعالى، وهو خالق الإنسان؛ فضلاً عن خلق العقل بحد ذاته وتسخيره لخدمة الإنسان، وبالتالي يستحيل التعارض بينهما، وإن وجد لا يكون إلا ظاهريًا.

وخامسها: أنه على الرغم من وجود جوانب نفسية واجتماعية للظاهرة الدينية، قد تقبل التحليل التجريبي الحسي، فإن البعد الأهم في تلك الظاهرة هو البعد الغيبي القيمي[87].

وهكذا يتبين أن هذه الأسس النظرية والأصول الفكرية لمنهج ما وراء الدين عند الفاروقي أسهمت في وضع نظرية إسلامية لنقد التشريعات والعقائد المختلفة، على وفق منهج إسلامي، عقلاني، ونقدي، يرتبط بالمصدر الإلهي، وجوهره في التوحيد؛ لأنه لا توجد جماعة إلا وأرسل الله لها نذيرًا؛ ليعلمهم دين التوحيد وتجلياته الأخلاقية، والتقوى وفضائلها الإيمانية، وهذا ما يجعل الدِّين في الأرض واحد[88].

المطلب الثالث: مبادئ تقييمه للعقائد المسيحية:

لقد أخذ البُعد النقدي أو التقويمي موقعًا مركزيًا في مقاربة الفاروقي، إذ يرجع الحاجة الملحة في نقد عقائد المسيحيين إلى طبيعة المسيحية نفسها في تركيبها وتعقدها، ويرى أنه لا بد من قواعد موضوعية ومبادئ معلنة تسعف في النقد والتقويم؛ حتى يكون النقد واضح المعالم، مبنيًا على أسس موضوعية وعقلانية[89].

إن تجرد الفاروقي عن كل خلفياته الدينية في نقد عقائد المسيحية، كباحث محايد، على وفق رؤيته الفلسفية في فهم هذه العقائد كما يصورها معتقديها، ومحاولة اكتشاف منطقها من الداخل، قد أفضت به إلى صياغة مبادئ نظرية خمسة ساعدت على تقديم أفهام سليمة ومقبولة لتلك العقائد، شريطة ألا تكون هذه الأفهام متحيزة أو متلبسة بخلفيات تاريخية أو دينية، من شأنها أن

تشوه صورة القضية المدروسة، وقد سبق للباحث أن تناول هذه المبادئ النظرية الخمسة، عند تحليله النقدي لأثر الفكر الغربي في فهم الفاروقي للعقائد المسيحية من خلال كتابه سالف الذكر، واستنبط الفاروقي من تلك المبادئ النظرية عددًا من المبادئ التقويمية العقلانية، يمكن الانتقال بها من مستوى فهم العقائد المسيحية، إلى مقام نقدها وتقويمها، وأي عقيدة لا تستجيب لأحد مبادئ التقييم فإنها تمثل إشكالية عقلية تبحث عن حل، بوصفها تمثل تطبيقًا عمليًا لتناقض العقائد المسيحية مع الحقائق الدينية والعقلانية المنطقية، ووصل عدد هذه المبادئ التقويمية عند الفاروقي إلى ستة مبادئ:

أولها: استحالة تحول عالم الخالق إلى عالم المخلوق، ولا العكس، فنظام عالم الخالق أبدي سرمدي، أما نظام المخلوق فهو حادث وله بداية ونهاية، وبتعبير فلسفي لهذا المبدأ أن الوجود له مستويان: مثالي وواقعي متعين؛ فالأول يمثل القيم، والأخير يمثل الواقع، وعليه فلا يمكن اعتبار القيمة والواقع وجودًا واحدًا، كما أن الحقيقة والقيمة ينتميان إلى عالمين مختلفين، ولا تستجيب العقائد المسيحية لهذا المبدأ، بزعمها جمع المسيح ﷺ بين ما هو إلهي وبين ما هو بشري، وهو ما يعني تناقضها مع المعرفة العقلية، التي لا تعرف سوى نمطين فقط هما المثالي والواقعي، وتطبيقًا لهذا المبدأ يرى الفاروقي أن المسيحية تعاني من إشكالات عقدية؛ لأن تعاليمها ضد العقلانية.

وثانيها: التسليم بوجود علاقة بين الوجود المثالي والمتعين، أو ارتباط المثال الأعلى بالواقع؛ إذ الأول يمنح الأخير معناه القيمي، وهو السبب الفعلي الذي يشكل هوية الوجود الواقعي، ومن ثم فالمثل العليا هي المعيار الأول لأي عملية تقييم، ولكل ما هو صالح وأخلاقي، وتتسع الحياة لنموذجين: واقعي ناشئ عن فعل الإنسان، قد يقترب أو يبتعد عن النموذج المثالي المعبر عن التكليف الإلهي للإنسان، وحول ارتباط المثال الأعلى بالواقع يصرح الفاروقي قائلاً: "ولو كانت القيمة لا علاقة لها بالواقع، فلا معنى لتمييز أحدهما عن الآخر"[90]، باعتبار أن الفصل بينهما يلغي أي مواجهة للتحديات الواقعية.

وثالثها: العلاقة بين الوجودين قائمة على أساس مفهوم الأوامر، ويعني به أن الوجود المثالي لا يتحقق في الوجود المتعين، وأن الفصل بين المثال النظري، والمثال المعياري، لابد وأن يظل قائمًا؛ لارتباطها بالسنن الكونية التي لا يملك الإنسان تغييرها أو تعديلها، وأن يكون التركيز في الربط بين المثال والواقع على ما هو سلوكي معياري، أكثر مما هو نظري مجرد، وعليه يرى الفاروقي أن الأوامر الإلهية تمثل صلة الوصل بين الواقع الفعلي والمثال، وأن مشاركة الإنسان ضرورية لإحداث هذا التطابق، وأن "إنكار هذه المهمة الأساسية أمر مستحيل، وأي ادعاء أن القيمة تلزم وتنجح في جعل نفسها واقعية أو حقيقية، تفتح الباب للرأي الذي يقول إن القيمة

تتحقق بالضرورة أو لا، فهذه الرؤية تتناقض أو تتعارض مع حقائق الحياة الأخلاقية والوجود"[91].

ورابعها: الوجود الفعلي الواقعي يرتبط بالمفاهيم الخيرية؛ فالإنسان قادر على أن يكون خيرًا بسبب طبيعته كإنسان فهو مجبول على الخير، كما أن العالم في حد ذاته خير ما دام الإنسان يملك أن ينزل فيه القيم العليا، التي يميلها عليه وجوده؛ لأنها تستلهم التأكيد على إنسانيته وقدرته على تغيير الواقع في الاتجاه الذي يتطابق مع المثال، وإذا تم تطبيق هذا المبدأ في نقد بعض المعتقدات المسيحية، لا سيما الخطيئة والخلاص، فإن المسيحية ستبدو في مأزق كبير، إذ إنها تفترض ولادة الإنسان وهو يحمل خطيئة لم يرتكبها، بل ولم يعلم بها أساسًا، وبالتالي فالإنسان يولد – من وجهة نظر المسيحية– وهو مجبول على الشر، وهذا يتنافى مع فطرة الإنسان الخيرة التي فطر الناس عليها، وهو خيِّر بطبعه، ولديه قابلية تمثل قيم الصلاح والفلاح[92].

وخامسها: قابلية الوجود ومرونته لإعادة التشكيل، فالإنسان قابل لتغيير نفسه ولتغيير غيره، ويعني بهذا المبدأ أن الوجود قابل للتغيير إما على سبيل التكميل أو الانحطاط، وبالتالي فإن الخيرية فيه قابلة لأن تكمل إلى درجات أسمى، أو أن تنحط إلى دركات أدنى، لأن "سنن الله في الخلق، يقتضي إمكانية تحقيق غايته في الزمان والمكان في هذه الحياة الدنيا، فيما بين الخلق واليوم الآخر، ولا بد أن يكون الإنسان – بوصفه فاعل الفعل الأخلاقي– قادرًا على تغيير ما بنفسه، وعلى تغيير رفاقه ومجتمعه، وعلى تغيير بيئته الطبيعية، وأن تكون النفس والرفاق والمجتمع والطبيعة بالمقابل، قابلين للتغيير بتلقي الفعل الإنساني المؤثر، فهذه القدرة، وتلك القابلية هي شرط تجسيد السنن الإلهية، أو الأمر الإلهي التكليفي في النفس وفي الآخر"[93].

وسادسها: إدراك الكمال المنشود للوجود الفعلي المتعين هو مسؤولية الإنسان؛ إذ إن الوصول المتعين إلى مراتب الكمال عبء يقع على كاهل الإنسان وحده، وعلى الرغم من أنه جزء من الوجود المتعين، إلا أنه الكائن الوحيد الذي له القدرة على تكميل مراقي ذلك الوجود، وإعادة تشكيل العالم مستعينًا بالعقل المستنير بنور الوحي المنزل من عند الله[94].

وهكذا صاغ الفاروقي نظرية إسلامية، تسعى لاستكشاف ونقد عقائد المسيحية، وتحدد اهتماماتها الأساسية، وتُمكّن من قياس المبادئ العقدية التي تتعامل مع مفهوم العقلانية الشاملة؛ إذ هي أسس عقلانية فلسفية قبل أن تكون دينية تقويمية، وقد غلبت عليها القيم الأخلاقية، والجوانب المعيارية، بحيث أن أي عقيدة لا تتناسب معها تمثل إشكالية عقلية.

الجدير بالإشارة أن الفاروقي في معرض نقده للعقائد المسيحية اعتمد على التحليل التاريخي للأفكار السائدة والموروثة عن اليهودية، بوصفها امتدادًا تاريخيًا لهذه العقائد التي تعرضت للتحريف والتأويل في فترات لاحقة على يد اليهود؛ نتيجة عدم امتثالهم للقيم الأخلاقية التي دعا إليها

المسيح ﷺ في رسالته - كما سيأتي-، والمنزلة -أساسًا- من عند الله، وحولوها إلى نظام مطلق، على عكس ما كان عند اليهود تمامًا، بل وعلى العكس مما كان يريده المسيح ﷺ أصلاً؛ فتطبيق الشريعة الجديدة بقيمها ونُظُمها، لن يكون له أي أثر في تقويم عقائد المسيحية حال استمرار الانحراف والتأويل الذي أصابها(95).

المبحث الثالث: نماذج من نقد الفاروقي لبعض العقائد المسيحية:

قبل استعراض الباحث لبعض النماذج النقدية للعقائد المسيحية عند الفاروقي، فإنه يشير - بإيجاز- إلى أثر رسالة المسيح ﷺ في تقويم الانحرافات العقدية والفكرية التي وقع فيها اليهود.

بداية يشير الفاروقي إلى أن المسيح ﷺ وُلد في بيئة يهودية، وتلقى التعاليم الدينية فيها، وشرع في دعوته في مجتمع يهودي عنصري، رأى في دعوته حركة تهدف إلى إحداث تغيير جذري في روحه ونظامه، فبذل كل ما بوسعه للتخلص منه، وأوضح الفاروقي أن اليهود يسعون إلى توظيف الدين لخدمة مآربهم العرقية والعنصرية، ولذلك فقد وضعوا مجتمعهم في أعلى السلم القيمي؛ رغبة في توحدهم رغم الاضطهاد الحاصل فيهم باستمرار، مما هيأ العوامل لفرض تعليمات تشريعية، وتوجيهات انضباطية صارمة، تفتقر للقيم الأساسية وروح الشريعة اليهودية وهويتها، فهم أرادوا دوام المجتمع لكن بغير الطريقة الصحيحة التي كُتبت في التوراة؛ فصارت شريعة ظاهرية أضاعت روحها(96).

واستند الفاروقي في إثبات دور المسيح ﷺ في تقويم انحرافات اليهود، على جوهر رسالة المسيح ﷺ الإنسانية القائمة على مناهضة الأخلاق العنصرية اليهودية، من خلال القيام بثورة أخلاقية، روحية، تعيد ترتيب القيم المجتمعية، وتهيئة الفرصة لإصلاح الخلل الحاصل في المجتمع اليهودي وتطهيره من تلك الانحرافات؛ مما جعل اليهود يتخوفون من هذه التحركات، وقرروا وضع حد لحياة المسيح ﷺ من جهة، والوقوف أمام دعوته التي نادت بكرامة كل إنسان، واستعادة الوعي القيمي والأخلاقي، على ما هو مادي ومحسوس من جهة أخرى، من أجل الحفاظ على تلك الأخلاق العنصرية، التي بدأت تتلاشى بفعل مسار التصحيح المسيحي(97).

وتأسيسًا على ذلك؛ فقد برز اهتمام دعوة المسيح ﷺ بشخصية الفرد، وبتحقيق قيمه وإنسانيته، ناهيك عن محاولة إزالة أفكار الطغيان العنصري الذي خيَّم على عقول اليهود؛ بغية تطهير لاهوت اليهودية من البشرية، الذي احتفظ بحرفيته شكلاً، رغم فُقْدانه لروحه(98).

وبنظرة تحليلية يمكن للباحث إجمال السمات الأساسية للرسالة التي جاء بها المسيح ﷺ بما يلي:

1- إعادة تقييم المفاهيم العقائدية والنظم الإنسانية بما يتوافق مع رسالة المسيح ﷺ، وبما يُحقق القيم السامية.

2- إلغاء العنصرية اليهودية وتصحيح الترتيب القيمي، وتعزيز الأخلاق التي تدعو إلى المساواة بين البشر.

3- إحياء التقييم الإنساني للفعل الشخصي، بوصفه يمثل ردَّ فعل المسيحية على تمركز اليهود حول الذات.

4- حُسن التعامل مع النصوص المقدسة، من خلال رفض التقيُّد الحرفي أثناء الاستدلال[99].

ولكن هذه السمات لم تنل استحسان اليهود من وجهة نظر الفاروقي، فقد أوضح أن اليهود قابلوها بالرفض المطلق والعداء المستمر، كونها تتضمن مساواة اليهود ببقية البشر، وتلغي قداستهم الإلهية - حسب زعمهم- فضلاً عن قصور نظرتهم للنظام الأخلاقي التي تختلف عما جاء به المسيح ﷺ، وخوفهم أن تُحدث هذه الرؤى تغييرًا جذريًا في أخلاقهم، ومعتقداتهم[100].

وبناءً عليه؛ فقد تهيأت الفرصة أمام المسيحية للانفصال عن اليهودية حسب ما يميل إليه الفاروقي؛ إذ قام بتحليل نقدي للأسباب الموضوعية التي هيأت هذا الانفصال من جهة، وبمقاربة تاريخية حول عن تطور المسيحية في الغرب، في ضوء تحولها التاريخي من مسيحية يهودية إلى مسيحية رومانية وثنية[101].

بعد هذا العرض الموجز للسمات الأساسية التي جاءت بها رسالة المسيح ﷺ، وأهميتها في تقويم انحرافات اليهود، سيعرض الباحث فيما يلي نماذج من نقد الفاروقي لبعض عقائد المسيحية، بوصفها تطبيقًا عمليًا لمنهجه النقدي، والمقاربة الموضوعية المتميزة لهذا المنهج، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: عقيدة إلهية المسيح ﷺ وبنوته:

أدى الاختلاف والجدل حول طبيعة الألوهية عند المسيحيين، إلى انعقاد الكثير من المجامع الكنسية في أزمنة مختلفة لإقرار العقيدة المسيحية حول طبيعة المسيح ﷺ، فقد تبلورت معظم النقاشات الجدلية حول هذه الطبيعة إلى ثلاثة آراء أولها يقول ببشرية المسيح ﷺ وأنه رسول، والثاني يقول بإلهيته، ويقول الثالث باتحاد الناسوت واللاهوت في طبيعة واحدة[102].

على أن أول المجامع - وأهمها عند الفاروقي- في تاريخ الكنيسة حول طبيعة المسيح ﷺ، مجمع نيقية المنعقد عام 325م، حيث مثَّل هذا المجمع بوابة مهمة في التحريف العقدي لمقام النبوة التي وصف بها المسيح ﷺ، فقد رُفع إلى مكان لا يصل إليه إنسان مهما بلغ من المكانة، الأمر الذي كشف جملة من التناقضات الحاصلة في هذا الوصف وحقيقته، في ضوء صراع الأفكار العقدية، بين مذهب الآريوسية[103] القائل بألوهية الأب فقط، وإنكار ألوهية الابن واعتباره مخلوقًا، وبين مذهب السلطة الدينية[104] ممثلة بالإمبراطور قسطنطين، الذي فرض الاعتقاد بألوهية المسيح باعتباره من جوهر الله، وقديم بقدمه[105].

وقد بدأ نقد الفاروقي لطبيعة الألوهية عند المسيحيين وفق سياقاتها التاريخية، بتقرير معتقد أن الله في نظر المسيح ﷺ ليس إلهًا لليهود

وحدهم، أو لإبراهيم عليه السلام وأبنائه على وجه الحصر، بل هو إله الناس جميعًا، وأكد رفض المسيح حصرية اليهود، التي رأى فيها سببًا لإغلاق مملكة السماء في وجه البشرية، وعلى هذا الأساس انتقدهم المسيح عليه السلام، وانتقد وصفهم لأنفسهم بأنهم أبناء الله، ورد عليهم أنه إن كان هناك أحد أجدر أن يكون أباهم فهو الشيطان(106).

كما ألغى المسيح عليه السلام إمكانية اشتراك اليهود مع الله بأي شكل من الأشكال، عدا أن يكونوا عباده وهو خالقهم، وأكد الفاروقي أن رسالة المسيح عليه السلام دعت اليهود إلى العودة إلى الحنيفية، القائمة على التوحيد الخالص؛ فهو قد وُجد ليصحح الانحرافات الفكرية والعقدية التي تمس قداسة الله جلَّ جلاله(107)، مشيرًا إلى الأثر البالغ الذي أحدثته العقيدة اليهودية، القائمة على الاعتقاد الجازم في أبوة الله – تعالى عما يفترون– لهم، على انحراف عقائد المسيحية فيما بعد، فقد بدأ هذا الانحراف بعد مضي زمن من رفع المسيح عليه السلام – من وجهة نظر الباحث–، وقد لاحظ الفاروقي أن بعض الألقاب المفاهيم التي أطلقت على المسيح كـ (ابن الله) مثلاً، لا تعني في الآرامية –التي كان يتكلم بها المسيح عليه السلام– سوى بعض الألقاب والمفاهيم، التي تشير في مجملها إلى شخص سامي، أو مخلوق بشري، يتميز بالشرف الاجتماعي، وهذا المعنى ما زال نفسه في اللغة الآرامية العبرية حتى الآن(108).

ومن وجهة نظر تاريخية، يعتقد الفاروقي أن هناك عدة عوامل أفضت إلى انحراف التصور المسيحي حول طبيعة المسيح عليه السلام واعتقاد إلهيته، ترجع في معظمها إلى عاملين أساسيين:

الأول: الفهم الخاطئ لبعض النصوص الدينية، فقد أطلق الحواريون الساميون أوصافًا معينة، كـ (قدّيس) أو (قدّيسة) على أي شخص له سلطة بين الساميين، ففهم المسيحيون أن إطلاق هذه الصفة على المسيح عليه السلام تعني أنه إله، وهرعوا يبحثون في العهد القديم عن دليل على تعددية الذات الإلهية، فظنوا أن ضمائر الجمع المعبرة عن الذات الإلهية في سفر التكوين: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه»(109) دليل على تعدد الآلهة، وهو ما دعاهم إلى القول بـ إلهية المسيح عليه السلام وما تزال حجة مسيحية يؤمن بها مفكرون مرموقون(110).

إن هذا الفهم – وأمثاله من الأفهام ذات العلاقة– أضفت صورة الإله على المسيح عليه السلام؛ فصار بهذا الاعتبار كائنًا سماويًا مُفارقًا جالسًا إلى يمين الله، واستمرت الصورة على هذا الحال إلى أن حصل الاحتكاك المباشر بالفكر الإسلامي في قرطبة وصقلية، فبدأ بعض المفكرين المسيحيين في طرح تساؤلات، قادتهم –لاحقًا– إلى إعادة النظر في أفهامهم وتصوراتهم؛ إذ قدمت إجابات المسلمين عنها صورة واضحة عن حقيقة المسيح عليه السلام بعيدًا عن الفهم الخاطئ، أو التأويل الفاسد(111).

أما العامل الثاني، فإنه يتعلق بتأثير الثقافات الوثنية القديمة على المسيحية، فقد تمتعت المسيحية بحرية كبيرة في التعامل مع الثقافات

والمذاهب العقدية والوثنيات السائدة آنذاك خارج الإطار المسيحي، وكذلك في التكيف معها، والاستفادة منها، بل والاقتباس منها، وما لبثت عقائد المسيحية أن تأثرت بالثقافات الدخيلة عليها، والتي أضفت على المسيح ﷺ مضامينه الوجودية المزيلة لصفة التسامي، والمفارقة بالقول بـ وحدة الجوهر بين الله والمسيح ﷺ، ما يثبت تأثر هذه العقائد بطقوس الثقافات الدخيلة و المستوردة، واستقاءها من تلك الثقافات إلهًا مُعذبًا يُخلص الإنسان بموته[112].

إن المسيح ﷺ – حسب معتقد المسيحيين– هو الثاني في الأقانيم الثلاثة التي آمنت بها، وهي: الأب والابن والروح القدس، ويمكن القول إن بذرة عقيدة إلهية المسيح كانت من وضع بولس، وقد صادفت البذرة أرضًا خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية، وارتبط نقد الفاروقي لهذه العقيدة بالتصورات المنحرفة التي قدمها بولس، المتأثر بالفكر الهيليني[113]، الذي اعتبر إنسانية المسيح هي صورة الإله الخفي، ثم تحوَّلت تلك العلاقة التي كانت تربط المسيح بالله تعالى إلى علاقة ميتافيزيقية[114]، تُصوِّر علاقة الحب بين الإله والإنسان على أنها كانت الدافع وراء اعتناء الإله به[115].

فضلاً عن ذلك، فقد أشار الفاروقي إلى أثر الحركة الغنوصية[116] في إدخال أفكار جديدة لم تعرفها المسيحية منذ سابق عهدها؛ إذ قدمت هذه الحركة المسيح بصورة الإله، نتيجة أن الغنوصيين يؤمنون بأن المسيح هو (الكلمة) أو (الذكاء الإلهي)، وبالتالي فهو أبدي كالخالق، وعطاء من الإله وليس بمخلوق، وروحه هي نفسها روح الإله، والكلمة – التي هي المسيح حسب معتقدهم– والإله، يمثلان عظمتان لعظمة واحدة تسمى (الروح المطلق)، إلا أنهم ينفون كونه قد صُلب أو أنه سيبعث، وهذا يقود إلى تناقض عجيب، صوَّره الفاروقي قائلاً: "فإذا عانى فهو ليس بإله، وإذا كان إلهًا فلا يمكن أن يعاني"[117].

وقد انتقد الفاروقي إلى جانب هذا التناقض مجموعة من التناقضات التاريخية والفلسفية التي لم تسلم من النقد الموضوعي والتقييم العقلي لهذه العقيدة عند الفاروقي، منها تناقض بعض أسفار الإنجيل فيما بينها حول طبيعة المسيح ﷺ، بين القول بإنسانيته ﷺ، والقول بألوهيته، إذ كيف يمكن أن يجتمع ضدان في آنٍ واحد، ولم يسعَ أحدٌ منهم إلى تحقيق التناغم بين الاعتقاد بإلهية المسيح ﷺ، والاعتقاد ببشريته، دون أن يؤدي به ذلك إلى الاتهام بالهرطقة[118]، ولعل هذا هو السبب في لجوئهم إلى لغة غامضة، أما حين يضطر أي مسيحي للإفصاح عن موقفه من هذه المسألة؛ فإنه لا يجد مناصًا من التصريح باعتقاده بأن الله متعالٍ، وحالٌ في مخلوقاته في آنٍ واحد، لكن صفة العلو له – وفق هذا المنطق– تصير بلا أساس، ويستلزم القول بغير هذه النتيجة التخلي عن قواعد التفكير المنطقي[119].

المطلب الثاني: عقيدة التثليث المسيحية:

تعدُّ عقيدة التثليث إحدى أهم العقائد المسيحية الأساسية التي يوليها المسيحيون أهمية كبيرة، وبالرغم من ذلك فقد بيَّن الفاروقي أنه لا يمكن فهم أو استيعاب هذه العقيدة، التي تعدُّ -كذلك- من أصعب العقائد فهمًا وتنزيلاً، إذ يعتقد المسيحيون أن الإله الواحد تجلى في ثلاثة ذوي طبيعة إلهية، ونتيجة إقرارهم واعترافهم بعقيدة التثليث، فتارة ترميهم في تعدد الآلهة، وتارة تجعل الإله في معتقدهم مركب من أجزاء ثلاثة، الأمر الذي جعل هذه العقيدة توصف بأنها انتهاك لوحدانية الله وكماله المطلق، لأنه لا يُتصور أن الإله أصبح إنسانًا(120).

وسعى الفاروقي جاهدًا لإجلاء حقيقة عقيدة التثليث وطبيعتها في الفكر الديني المسيحي، وتوصل إلى أن هذه العقيدة تقوم على أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية:(الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس)، فإلى الأب ينتهي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، وأن المسيحيين يحاولون في دفاعهم عن التثليث إلى إثبات أن العهد القديم وجد فيه أصل التثليث، حتى وإن كان تلميحًا لا تصريحًا، وأن العلاقة بين الأب والابن، هي علاقة محبة واتحاد في الجوهر، وأن في اللاهوت ثلاثة أقانيم متغايرة، وإن كانت في جوهرها غير متغايرة(121).

وقد عمد الفاروقي إلى تحليل بعض مصطلحات التثليث المتشابهة والمتداخلة، كـ:(ابن الإنسان) و(ابن الله)، والتي تحمل بُعدًا عقديًا في التصورات الفلسفية المسيحية، بوصفها تقدم شخصية المسيح على حقيقته الإنسانية والبشرية، وفي هذا الصدد صرح قائلاً: "إن كلمة ابن الله، لا تعني في لغة المسيح الآرامية سوى شخص سامي، وهذا المعنى ما زال نفسه في اللغة الآرامية العبرية حتى في العربية"(122)، وبالمعنى نفسه وُجدت هذه الكلمة في سفر دانيال(123) إلى جانب كلمة «Similitues of Enoch» التي تعني التفوق الأخلاقي(124).

وربط الفاروقي الجذور الفكرية والتاريخية لعقيدة التثليث المسيحية، بما هو موجود عند الديانات الوثنية القديمة، لا سيما المصرية والرومانية، من خلال عرض بعض شعائرهم الدينية، واعتقاداتهم في الإله، كالإيمان بموت الإله وبعثه، واعتبارهم بعض المشروبات كالعسل والخمر والحليب دم الإله المقدس، واعتقادهم -كذلك- بأن طبيعة الإله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، وقد تسرب هذا التصور الفلسفي إلى عقيدة التثليث المسيحية، بوصفها تطبيقًا عمليًا للأقانيم المشتركة في الألوهية، ولشعارها التاريخي (الله واحد، ولكنه ليس وحده)، الذي لم يسلم من النقد العقلي، والتناقض الفكري والفلسفي(125).

ويوضح الفاروقي أن هذا التناقض غير المفهوم أو المبرر كان نتيجة تأثر بولس بالتراث الهيليني الوثني القديم، بوصفه يمثل بوابة مهمة في الانحراف العقدي المسيحي، من خلال قيام عقيدة التثليث على تساوي الواحد بالثلاثة، الأمر

الذي جعل هذه العقيدة تصطدم مع العقل، فضلاً عن خروجها عن إطار التوحيد بصفة عامة، بما يتفق مع انحرافات اليهود التي تزعم بأن الرب قد أصبح بشرًا، منتهكة بذلك كل من: وحدانية الذات الإلهية، وتساميها المفارق لأي عنصر آخر(126).

وهكذا يظهر على مقاربة الفاروقي في دراسة التثليث ونقد دلالاته العقدية، الكشف عن الأثر الكبير الذي أحدثته العقيدة اليهودية، بوصفها تمثل بداية مؤثرة في ترسيخ الاعتقاد بألوهية المسيح أولاً، ثم عقيدة التثليث بشكل أوسع، فقد استطاع غلاة النزعة الهيلنستية(127) توجيه النصوص المقدسة إلى معانٍ غير تلك التي جاءت من أجل بيانها، وبالرغم من استدلال النصارى للتثليث بالنصوص التوراتية، إلا أن الروايات التاريخية تثبت أن هذه العقيدة تعرضت لفهم خاطئ في تفسيرها، إذ لا يشك عاقل في أن جوهر الثالوث المسيحي يقتضي تعدد الآلهة، ونقض أخص وصف لله سبحانه الذي هو التوحيد؛ ولهذا فقد اتهم الفاروقي علماء اللاهوت أنهم بحثوا في التوراة عن أدلة تفيد معنى التعدد للإله، وأنهم وجدوا في التعبير بصيغة الجمع المستعمل في بعض النصوص(128)؛ برهانًا على أن الله ثلاثة، ويحتجُّ به المسيحيون حتى اليوم(129).

كما تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد عرض سابقًا أثر الحركة الغنوصية في إدخال أفكار جديدة لم تعرفها المسيحية من قبل، من ذلك أن هذه الحركة قدمت المسيح بصورة الإله، استنادًا للإيمان الجازم بأنه – أي المسيح– هو (الكلمة)، ومن ثَمَّ فهو أبدي كالخالق، وعطاء من الإله وليس بمخلوق، وروحه هي نفسها روح الإله(130).

ويبدو أن تركيز الفاروقي على هذه العناصر التي أسهمت في مقاربة عقيدة التثليث المسيحية، من خلال توجيه الأفهام والتصورات الجديدة لهذه العقيدة، وفق تحليل نقدي للجذور الوثنية والعوامل التاريخية، هو لما لها من تشابه كبير مع ما هو موجود عند المسيحيين اليوم، لا سيما تلك العقائد القديمة التي تنقلت من الشرق إلى الغرب، وأثرت بشكل مباشر في عقائد المسيحية بصفة عامة، والاعتقاد بأبوة الرب للمسيح ونقدها على وجه الخصوص، بوصفها لا تمثل انتهاكًا صريحًا لوحدانية الله وتعاليمه وحسب، بل وتساهم –كذلك– في إرساء فكرة تعدد الآلهة، ما دفع بالفاروقي إلى نقد التثليث من وجوه خمسة:

أولها: خلو أسفار الإنجيل من ذكر كلمة (التثليث): إذْ يشير الفاروقي إلى أن هذه الكلمة أو مشتقاتها لم ترد في أي مكان من العهد الجديد، وغاية ما ورد فيها من مفاهيم أو مصطلحات كـ (ابن الله)، فإنها لا تفيد الاشتراك في الألوهية من جهة، ولا تعني في اللغة الآرامية قديمًا، واللغة العبرانية حديثًا، سوى شخص سامي، من جهة أخرى، وأن المسيحيين استندوا في إثبات قداسة التثليث إلى آيات لا يستنتج منها على الإطلاق معنى الاشتراك في الألوهية(131).

وثانيها: التعارض مع العقل والمنطق: يشير الفاروقي إلى أن التصور المسيحي يقوم على أن التثليث حقيقي، والتوحيد حقيقي، ولكن إذا وجد

التثليث الحقيقي؛ وجدت الكثرة الحقيقية أيضًا، وهذا ما يقتضي تعدد الآلهة، ونفي التوحيد المزعوم(132).

ويضيف الفاروقي أن عقيدة التثليث لا تتعارض مع المسلمات العقلية وحسب، بل والمنطقية كذلك؛ إذْ يزعم أتباع المسيحية أن المسيح عليه السلام هو إنسان وإله، وهم لم يتفقوا –بشكل قاطع– حول ألوهيته أو إنسانيته عليه السلام؛ لذلك فإن اعتقادهم هذا في المسيح يتناقض مع عقيدة التثليث، إذ كيف يُتصور أن الإله أصبح إنسانًا، والعكس.

ويجد المتتبع أن مقاربة الفاروقي في تحليل الإشكالات العقلية للاعتقاد بالتثليث، قد تناولها في ضوء التفسيرات الفلسفية لبعض المصطلحات العقدية والفكرية، وفق سياقاتها التاريخية، وتوصل إلى أنه من غير الممكن وجود كائنين لا محدودين في حيز واحد، لأننا نقول عن كل واحد منهما أنه غير محدود، بمعنى أن كلّ وجوده ممتلئ، وبالتالي لن يتجلى مكان للموجود اللا محدود الآخر، وهذا محال من الناحية العقلية(133)، فضلاً عن ذلك، فإن القول بأن نتيجة جمع ثلاثة أعداد يساوي واحد، يستلزم بالضرورة تناقضًا عقليًا صريحًا، فكيف يمكن لشيء واحد في عين كونه واحدًا أن نعتبره ثلاثة؟!

وقد صور القرآن الكريم هذا الانحراف العقدي، بقوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [سورة النساء: 171].

وثالثها: تطابق عقيدة التثليث المسيحية مع بعض العقائد الوثنيات القديمة: إذْ أشار الفاروقي إلى تأثر هذه العقيدة بما كان سائدًا في الديانات الوثنية القديمة، بما تمثله من أفكار دخيلة وثقافات مختلفة، لا سيما ثالوث البراهمانية(134) في الهند، فضلاً عن الأثر الكبير للثالوث الروماني(الإله، الكلمة، الروح) في صياغة عقيدة التثليث المسيحية في مجمع نيقية خلال الربع الأول من القرن الرابع لميلاد المسيح عليه السلام(135).

ورابعها: صعوبة فهم عقيدة التثليث وغموض دلالاتها: أشار الفاروقي إلى أن الأقانيم الثلاثة التي يقول بها المسيحيون غامضة، غير محددة المعنى، ولا تعرف دلالتها بوضوح، فهي تارة صفات، وتارة ذوات، وأن التردد في معنى هذه الألفاظ يؤدي إلى اللبس، واللبس والعبارات الغامضة الموهمة لا تقوم عليها عقيدة، وتنم عن الاضطراب والحيرة وعدم الفهم(136).

وخامسها: انتقاد فكرة الاتحاد في التصور المسيحي: إذْ تقوم هذه الفكرة على الاعتقاد المسيحي بأن الله سبحانه اتحد بجسد المسيح عليه السلام مع وجود الطبيعة البشرية فيه، وهذا الزعم إلى جانب كشفه عن تناقض التصور المسيحي حول فكرة الحلول، فإنه يبطل عقيدة التثليث المسيحية حينما يثبت الطبيعة البشرية للمسيح عليه السلام(137).

إلى جانب ما سبق، يسعى الفاروقي إلى التعرف إلى النظريات التوحيدية التي أقام عليها الفكر الإسلامي نقده لعقيدة التثليث المسيحية، من خلال كتابه: "أطلس الحضارة الإسلامية"، الذي تناول فيه كيف سعى الإسلام إلى تطهير الدين تمامًا من كل الشبهات التي علقت بوحدانية الله، كما وأنجز الفكر الإسلامي - بذلك- مهمة مزدوجة، تتمثل بالإقرار بأن الله هو الخالق الوحيد للكون، ومهمة التسوية بين كل البشر، بوصفهم من خلق الله، لهم الخصائص الأساسية للبشرية المخلوقة، والوضعية الكونية، ومن ثم لا يمكن للخالق أن يتحد أو يتصل وجوديًا في المخلوق، ولا للمخلوق أن يتحد أو يتصل وجوديًا في الخالق، أو يسمو بنفسه إلى مرتبة الخالق[138].

وتأسيسًا على هذه النظرية التوحيدية؛ فإن الإسلام - وفق ما ذهب إليه الفاروقي في كتابه: "التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة"- قد أعلن بأن مسألة التسامي الإلهي المطلق موجهة لجميع البشر كائنًا من كان، وأن الله خلق كل البشر قادرين على معرفته في علوه المطلق؛ فتلك هي الفطرة التي فطر الله البشرية عليها، وتمثل القاسم المشترك بين كل بني آدم[139].

المطلب الثالث: عقيدة الحلول والتجسُّد:

بيَّن الفاروقي أن عقيدة الحلول والتجسد في اللاهوت المسيحي تعني: اعتقاد المسيحيين بأن ابن الله اتخذ طبيعة بشرية، أو اتخذ المسيح صورة له، وحلَّ بصورة إنسان، وهو ما يعبر عنه باتحاد اللاهوت في الناسوت حينما رُفع إلى السماء، ثم نزل وتجسد لغرض الفداء وتحقيق الخلاص للعالم، بعد تحوله من الطبيعة الإلهية إلى الطبيعة البشرية، وحول هذا يقول: "إن المسيحية الكاثوليكية عرَّفت نفسها بهذا الالتزام بوحدة الجوهر بين الإله وعيسى، مع تميزها لتعدد شخصيتهما ووعيهما"[140].

ويقتضي القول بالتجسُّد في اللاهوت المسيحي، إلى اعتقاد ألوهية المسيح عليه السلام، وبنوته لله تعالى، وهذه البنوة كانت متمثلة في أقنوم الكلمة قبل التجسد، أما بعده فقد أصبح المسيح الإلهي الإنساني(المكون من إله وإنسان معًا) بجسمه البشري، هو ابن الله حقيقة - تعالى الله- وهذا ما يقوله أتباع المسيحية، واستقر رأيهم عليه[141]، وليس هذا فحسب، بل إن المسيحيين يعتقدون بتجسد الله سبحانه في العذراء مريم، وهو ما جاء واضحًا في قانون إيمان نيقية، الذي فسَّر سبب تجسد ابن الله يسوع المسيح وصار إنسانًا؛ ليكون قدوة للبشر في علاقاتهم مع الله، ومع بعضهم بعضًا[142].

ويؤكد الفاروقي -كما سبق- أن المسيح عليه السلام لم يقُل يومًا إنه ابن الله، أو أنه تجسَّد فيه، أو أنه متحد فيه، ولم يرد ذلك إلا في أحد نصوص إنجيل يوحنا: «والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا»[143]، وأن عقيدة التجسد إنما صيغت -لأول مرة- في مجمع نيقية، وكانت هذه النشأة بالتدرج حتى وصلت الفكرة إلى ما يعتقده أتباع المسيحية الآن، ولم ينضج هذا الاعتقاد بصورته المعروفة حاليًا إلا في القرن السادس الميلادي، واستدل

على ذلك بأن فرقة الأبيونية[144] كانت تنكر – قبل هذا التاريخ– القول بألوهية المسيح ﷺ، وهذا ما نُقل عن الحواريين، والجماعة المسيحية الأولى على وجه الخصوص[145].

وحول كشف غايات عقيدة الحلول والتجسُّد ومبرراتها عند المسيحيين، يذهب الفاروقي إلى أن هذه العقيدة ليست بتلك العقيدة الهينة في الفكر الديني المسيحي، بل هي من أخطر ما يمكن أن يتصوره عقل، فكيف للإنسان أن يتصور إمكانية نزول الإله وتجسُّده في صورة الإنسان وهيئته، ويفعل كل ما يفعله الإنسان في حياته بالشكل الطبيعي والمعتاد[146].

ويظهر من خلال التحليل التاريخي الذي سار عليه الفاروقي في دراسة عقيدة التجسُّد المسيحية ونقدها، أن مبرر هذه العقيدة عند أتباع المسيحية بعامة، وهدف تجسد ابن الله في المسيح بخاصة، هو القيام بعمل الفداء، فابن الله اتحد بجسد إنسان؛ حتى يفدي البشر، ويحمل عنهم وزر الخطيئة، ويخلصهم منها، وذلك حين يقدم نفسه قربانًا بدلاً عنهم، وأن هذه الغاية هي التي أجمع عليها آباء الكنيسة[147] في مجمع نيقية، الذي تأسست فيه عقيدة التجسد على هذه الغاية، إذ جاء فيه: "الذي لأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم، في اليوم الثالث وصعد إلى السماء"[148].

وثمة غاية أخرى لعقيدة التجسُّد لا تقل خطورة عن الفداء، وهي – بحسب تعبير الفاروقي– تأليه الإنسان؛ إذ التجسد عند طائفة كبيرة من المسيحيين، لا سيما من الشرقيين الأرثوذكس، إنما هو عمل محبة محض، أراد الله به أن يصير واحدًا من خليقته، مؤكدًا أن التجسد عند هؤلاء ليس مرتبطًا بالتكفير عن الخطيئة الأصلية للإنسان، بل تأليه الإنسان بولادته ولادة جديدة في المسيح على صورة المسيح، وبالتالي فإن التأليه هو مقابل التجسد؛ إذ إن الله تعالى – حسب اعتقادهم– اتحد بالإنسان، وأخذ صورته ليرفعه إلى مكانته[149].

واعترض الفاروقي على التصور المسيحي لعقيدة التجسُّد، ونقدها بطريقة منهجية ذكية، وبصورة غير مباشرة؛ إذْ تناول هذه العقيدة وعرَّج عليها في إطار مفهوم الإنسان، فنجده يحلل مفهوم الإنسان الذي عبَّر عنه بأنه سيد المخلوقات؛ لقدرته على تحقيق إرادة الله العليا، المتمثلة في القيمة الأخلاقية، مبينًا أن الدِّين الذي تتطور أساسياته العقدية – وليس فقط مفاهيمه الإنسانية– لا يصلح أن يكون دينًا يوثق به[150].

وكشف عن تطور التسلسل التاريخي في مفهوم الإنسان، وعلاقته بالإله في العصور المسيحية الحديثة، من خلال تركيزه على شخصيات دينية كان لها إسهامات واضحة في مجال الأديان بشكل عام، ونظَّرت لقضية "صورة الإله" بشكل خاص، كالفيلسوف كارل بارث[151]، الذي ركز على أن أصل معرفة أي إنسان هي "الكلمة" أو "الكلمة الإله"، وفسر النظرية الحقيقية للإنسان بأنها تلك التي توجد في المسيحي، وتنبني على الإيمان بالمسيح قبل ارتباطها بالوجود الإنساني[152].

لكن فكرة الاعتقاد بأن الإنسان صورة الإله، لم تسلم من النقد عند الفاروقي؛ فقد بيَّن أن هذه العقيدة لا تصمد أمام المراجعات الفكرية التي تذهب إلى أن خلق الإنسان بواسطة الكلمة، لا تعني أنه يعرف من خلقه؛ فقدرته كمتلقي للكلمة لا يمكن أن يكون الإنسان متلقيها إذا كان لا يشارك وجوده أصلاً، والمسيحية لا ترضى بأن الله خير، وأن كل ما يأتي منه خير؛ فهي تذهب إلى جانب كونه خيرًا، فإنه ذو طبيعة ثالوثية، فأحد شخوص الإله هو يسوع المسيح، وهو ابن إله، تجسد وصلب وخرج من بين الأموات، وهذا يعني أن فكرة الخطيئة تشكل جزءًا جوهريًا من التصور المسيحي للإله[153].

المطلب الرابع: عقيدة الخلاص من الخطيئة:

تعد عقيدة الخلاص هي العقيدة الأساسية التي تقوم عليها أغلب المعتقدات المسيحية كالخطيئة والفداء والصلب، إذْ إن هذه العقيدة تعني في المسيحية ظهور المخلص (يسوع المسيح) الذي يفتدي بنفسه؛ ليكفِّر عن الخطيئة الأولى، التي أحالت طبيعة الإنسان الأول إلى طبائع شريرة، وأحالت العالم كله إلى شر أيضًا، وتنطلق هذه العقيدة في التصور المسيحي بأن الشر قضية أساسية في الكون، وتعتمد عليها في تصورها للإنسان والعالم، وأن دين المسيح عليه السلام جاء للخلاص الأبدي من هذا الشر، ومن ثم فقد ظهرت معالم النقد لهذه العقيدة عند الفاروقي، من خلال التحليل النقدي للرسالة الأخلاقية التي جاء بها المسيح عليه السلام، واستقراء جذورها في اليهودية وفق سياقاتها التاريخية، وربط ذلك بخطيئة آدم وخلاص البشرية.

يشير الفاروقي إلى أن الكتاب المقدس استخدم كلمة(مخلِّص) – أحيانًا– للإشارة إلى الإنقاذ الجسدي المؤقت، لكن في الغالب تستخدم هذه الكلمة في المعتقد المسيحي للإشارة إلى الإنقاذ الروحي والأبدي من الخطيئة المتوارثة، التي تقر بأن كل إنسان يولد خاطئًا، إذْ يصورها وفق اعتقاد المسيحيين، بأن آدم عليه السلام وزوجته، عندما أكلا من الشجرة، وقعا في الخطأ، وعصيا ربهما، فحلَّت العقوبة بهما وبذريتهما قرونًا طويلة، حتى افتدى الرب ابنه – تعالى الله عن ذلك– بأن قتله وصلبه وأهانه على يد أعدائه اليهود، فكل من آمن بالمسيح مخلصًا فقد نجا، أما من لم يؤمن به فهو باقٍ على هلاكه[154].

إن المسيح عليه السلام – وفق العقيدة المسيحية– جاء فاديًا ومخلصًا للبشرية؛ لأن الخطيئة التي وقع فيها آدم كانت ماضية في بني البشر، حتى كان الفداء مع المسيح، لكن قبل تبلور فكرة الفداء والصلب كان الفكر الديني المسيحي قد خاض في مناقشة الإشكالية الجدلية للخلاص من الخطيئة الأولى التي فرضت على جميع البشر لاحقًا عقوبة أبدية، وتوصلت تلك النقاشات إلى أن صفة الرحمة الإلهية تستوجب العفو عن البشر، فنتج تناقض بين عدل الله ورحمته حسب اعتقادهم، فتطلب الأمر شيئًا يجمع بين العدل والرحمة، فكان الفداء يجمع بين المتناقضين، بوصفه يُجسد العدل من جهة، ويحقق الرحمة من جهة أخرى.

ونتيجة لهذا التصور الفلسفي لعقيدة الخلاص في المسيحية، وفق الخلفيات الإيمانية والتاريخية بالمهمة الأساسية التي كُلِّف بها المسيح ﷺ، فقد أشار الفاروقي إلى أن الرؤية المسيحية ما زالت تعرِّف الإيمان – بخلفية الإله– عبر التعريف بنظرة صاعدة من الشر إلى الخير إلى الإله؛ لأن الإله هو الخير وكل شيء منه خير، فلابد من شخص المسيح ﷺ للتعريف بالإله، وذلك أن مهمته ﷺ تعتمد على الخطيئة، وبالتالي يعد تاريخ حياته وحتى مماته هو الأهم في نظر المسيحيين[155].

وتتمحور رؤية الفاروقي النقدية لعقيدة الخلاص من الخطيئة الأولى والمتوارثة في الفكر الديني المسيحي في كتابه موضوع البحث، من خلال تخصيص مساحة للتحليل النقدي والمقاربة الموضوعية لجوانب الشر في هذه العقيدة من ناحيتين اثنتين:

أولها: الشر في الإنسان: حيث بيَّن الفاروقي أن عقيدة الخلاص المسيحية لها ارتباط وثيق بالطبيعة التكوينية للإنسان ذاته، فبما أن هذه العقيدة تنطلق من محورية الشر وضرورته – بحسب تصور معتقديها– فهي تربط بين الخطيئة والإنسان، حتى أن الخطيئة تلازم الإنسان من قبل ولادته، فهي متصلة بأساس البشرية، أي من الطبيعة البشرية، ولا تتوقف على فعله فقط.

وتأسيسًا على هذا الترابط العقدي المسيحي، فقد يكون الخلل في قصور التصورات الفلسفية لحتمية الخلاص أو الفداء عند المسيحيين، ناتج عن الحديث المستفيض حول نشأة الكون، الذي يقوم على فكرة أن الطبيعة من خلق الله، وأنها كانت كاملة في أول أمرها، ولكنها فسدت بالخطيئة، وصارت شريرة، وشرَّ الخليقة هو السبب في عملية الخلاص، وبعد هذه العملية، ترى المسيحية نظريًا عدم القطع بعودة الكمال إلى الطبيعة، أما من الناحية العملية؛ فإن العقل المسيحي ظلَّ ينظر إلى الخليقة على أنها ساقطة في الخطيئة، وإلى الطبيعة على أنها شريرة، وانتقلت العداوة للمادة من الغنوصية إلى المسيحية[156].

على أن التحليل المقارن الذي اعتمد عليه الفاروقي حول عملية الخلاص بين المسيحية والإسلام، فقد أكد أن السبيل الوحيد لخلاص الإنسان في الإسلام هو الخلافة، بل يمكن الجزم بأن الإسلام ليس فيه(خلاصًا)، ولكن(خلافة) عن طريق أداء الإنسان لرسالته التي خلقه الله من أجلها، وليس ثمة إنسان شريرًا خالصًا، بل إن لديه نوازع إلى الخير كامنة في نفسه، وقد تدفعه في لحظة ما إلى أن يكون فاضلاً، وإن كان أكثر الناس شرِّية، خلافًا للتصورات الفلسفية عند المسيحيين[157].

وثانيها: الشر في العالم: بيَّن الفاروقي – كذلك– أن عقيدة الخلاص قد تسربت إلى المسيحية، من خلال مشكلة الشر في الأديان الشركية القديمة، والتي وجدت طريقها في مخيلة بولس، الذي هيأت له عقيدته اليهودية في إدانتها الشاملة للخلق، وكان له الدور الخطير الذي قام

به في تحويل مسارها، وحول هذا صرح الفاروقي قائلاً: "لقد كان بولس مستعدًا لمنح المسيحية، أكثر مما منحها المسيح نفسه؛ فقد اعتبر بولس المسيح إلهًا حلَّ في الإنسان وصلب وقام من الأموات"(158).

ويعتقد الفاروقي أن هذا ما دفع ببولس إلى تأكيد توارث الخطيئة التي يحملها الناس جميعًا، على الرغم من أنها لم تكن واضحة قبل مجيء التوراة؛ لانعدام قانون إلهي يبينها، إلا أنها أصبحت بعد الرسالة الموسوية واضحة المعالم؛ لوجود القانون الإلهي المبين لها، مضيفًا أن بولس كتب في هذا الشأن إلى كنيسة روما: "إن الخطيئة أصابت كل البشر عن طريق شخص واحد، والخطيئة سرت إلى كل الناس عبر الحياة والموت؛ فأصبحوا يحملونها بسبب معصية شخص واحد"(159).

ويعود الفاروقي إلى التاريخ اليهودي؛ ليبحث عن أصول فكرة الخطيئة والشر، فيرى أن الوعي الديني الفلسفي، وما بعد مرحلة المنفى، نزولاً إلى زمن المسيح ﷺ، قد أدى بالوعي اليهودي إلى الشعور بالتناقض، بين القول بأن الله خير وحسن، وبين الاعتقاد بصحة الحقيقة التي تظهر الخطيئة كسمة كونية، فعندما فشلت العنصرية اليهودية في تحقيق أهدافها، اتجهت إلى إدانة الإنسان، بوصفه كائنًا شريرًا لا أمل له، وساهم الوعي اليهودي في صقل هذه الإدانة وأصبحت بمثابة هاجس له(160).

وحول طبيعة العلاقة بين عقيدتي الخلاص والصلب المسيحيتين، فقد توصل الفاروقي بعد التحليل التاريخي لهاتين العقيدتين إلى أن الصلة الجدلية بينهما تتمثل في أن عقيدة الخلاص أو الفداء هي السبب المباشر للصلب، واستدل على هذه العلاقة بما تروي التوراة عن معصية آدم وحواء للأمر المقدس(161)، والتي بيَّنت أن من آثار هذه المعصية، أن الناس جميعًا توارثوا تلك الخطيئة، والتي ارتبطت – أساسًا– بالصلب، كعملية لإنهاء آلام الخطيئة العالقة بالبشر منذ ارتكاب أبيهم لها(162).

وبيَّن الفاروقي – كذلك– طبيعة العلاقة الكبيرة بين قضية الصلب وعلاقة الحب التي تجمع الإنسان بالإله، بوصفها تمثل معضلة لاهوتية وأخلاقية في الفكر الديني المسيحي، وردَّ عليها بقوله: "إن المسيح عيسى ﷺ هو المحبوب، وليس المحب؛ لأنه صاحب الأخلاق الكريمة، التي تجعل من حوله يحبونه، فهو بذلك، الصورة المثلى التي تجسِّد القيم الأخلاقية"(163)، ومن ثَمَّ يستحيل معها تصديق أن الصلب جاء تكفيرًا للخطيئة الأولى، ورغبة في الخلاص من العذاب الأزلي.

على النقيض من ذلك، تذهب وجهة نظر الفاروقي للخطيئة، إلى خلاف الرواية اليهودية، والمبررات الفلسفية المسيحية، إذْ بيَّن أن خطأ إنسان ما عمل أخلاقي، وهو خطؤه وحده، فلا يجوز أخلاقيًا تحميل غيره عقوبة خطئه، وأنه إذا حمل الكل الخطيئة نفسها، فينبغي أن يُقضى عليهم بالعقوبة ذاتها، وأنه إذا كانت خطيئة آدم تتمثل في أكله من الشجرة؛ فهذا لا يعني في قانون

الأخلاق عملاً غير أخلاقي، بل على العكس من ذلك تمامًا، إذ لا يجوز في قانون العدل تحميل إنسان تبعات ذنب غيره، كون هذا الأمر يتنافى مع دستور الرسالة الأخلاقية التي جاء بها المسيح عليه السلام(164).

زيادة على ذلك يعتمد الفاروقي في الكشف عن التصورات المنحرفة لعقيدة الخلاص المسيحية على تحليل تاريخي للأفكار الأساسية التي اختلف فيها العهد القديم مع العهد الجديد، والتي ثبت له من خلالها أن هذه العقيدة ليست عقيدة كتابية، وأن الفلسفة لا يمكنها من الحكم على عقيدة الخلاصيين، باعتبار أن الرؤية المسيحية ما زالت تعرِّف الإيمان - بخلفية الإله- عبر التعريف بنظرة صاعدة من الشر إلى الخير إلى الإله؛ لأن الإله هو الخير وكل شيء منه خير، فلابد من شخص المسيح للتعريف بالإله، وذلك أن مهمته عليه السلام تعتمد على الخطيئة، ومن ثم يعد تاريخ حياته وحتى مماته هو الأهم(165).

وخلص الفاروقي إلى أن القيم الأخلاقية كانت نفحة ربانية من الخالق، ليس لها أي علاقة بالمسيح عليه السلام نبي الله ورسوله الأمين؛ لتصحيح مسار الأخلاق الفاسدة عند اليهود، والتأسيس للأخلاق السامية، المنبثقة من الإرادة الإلهية(166).

ومن خلال التحليل النقدي المقارن الكاشف لحقيقة عقيدة الخلاص المسيحية عند الفاروقي يظهر للباحث أن هذه العقيدة يندرج تحتها قضية مهمة في اللاهوت المسيحي، تتمثل بشمولية الخطيئة وانتقال الإثمية، من خلال تفسير فلسفة الشر الكامل، بإدانة شاملة للخلق، وللجنس البشري في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

وقد مثلت نظرية الإثمية في التصور المسيحي إسقاطًا لأي خير من الإنسان، في ضوء سيادة نظرية انتقال الآثام بين الأجيال المسيحية، وشمولية الخطأ، وتحول الخطيئة إلى ظاهرة عالمية، وضرورية، والتي تحاول أن تؤكد أن جميع الناس أخطأوا، أو سوف يخطؤون حتمًا، وأن الخطيئة متجذرة في عمق طبيعة الإنسان، والإنسان غير الخاطئ لن يكون إلا من خلال يسوع المسيح عليه السلام بطبيعة الثنائية الإلهية، والإنسانية(167).

إن الاعتقاد بشمولية الخطأ وانتقال الإثم، يعد بمثابة نقطة البداية للإيمان المسيحي برمته؛ لأن الشر إن لم يكن ذا قدرة كلية، لم يكن هناك سببًا للفداء، أو حاجة ضرورية للتدخل السماوي، وأوضح الفاروقي أنه في الوقت الذي تتفق فيه العقائد التوحيدية على أساس أن الله موجود، فإن العقيدة المسيحية تضيف أساسًا ثانيًا، وهو أن الخطيئة موجودة(168).

وتأسيسًا على ذلك، فقد رفض الفاروقي استدلال المسيحيين وتبريراتهم لفكرة انتقال الشر من الملائكة إلى آدم وحواء كما صاغها بولس، والتي تحاول زرع فكرة الفداء في عقول المسيحيين، غير أنه لم ينجح في توظيف قصة آدم وحواء لتكون مبررًا مقنعًا للإثمية وانتقالها، واستدل الفاروقي على فشل بولس - وأتباعه- في تكريس هذا الاعتقاد، بضعف استدلالهم بهذه

القصة على إثبات الإثمية، فعندما خالف آدم وحواء أمر الله، وقع عليهما العقاب الإلهي، ولم ينتقل الإثم للبقية، ولو أنه انتقل لكان مخالفًا لمقتضيات العدل الإلهي، وتصورات التفسير المنطقي، وتطبيقات النقد بالمقارنة بالتعريف الإسلامي:

فمن حيث الاستدلال بصفة العدل الإلهي، على أن يصبح عقاب إنسان واحد عقابًا للناس جميعًا هو سلوك مستحيل؛ لأنه حتى وإن مارس الناس جميعًا الفعل الخاطئ ذاته، فإنها لا تتطلب بأي معنى الإدانة ذاتها، أو العقاب نفسه.

وأما من حيث مخالفته للتصور المنطقي وتفسيراته، فالقول بأن خطيئة إنسان واحد، التي هي خطيئة أخلاقية، أصبحت متصلة بالبشر جميعًا من خلال الوراثة الجسدية، هو قول لا يمكن له أن يصح بأي منطق؛ فكل إنسان يعمل عملاً يعود إلى قراره، وخطيئته هو لا تتعدى لغيره، عدا أن تتعدى إلى كل البشر.

وأما من حيث النقد بالمقارنة مع التعريف الإسلامي، فإن عمل آدم الخاطئ المتمثل في الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، والتي هي «شجرة الحياة»، هو في نظر البشرية كلها عكس الفعل الخاطئ؛ ومن ثم يجب أن يكون هناك أمر غير أخلاقي فعله آدم حتى تتحقق فيه الخطيئة التي تحتاج إلى مغفرة، وهذا ما ينافي صفة عصمة الأنبياء، مبينًا الفرق الكبير بين المسلمين والمسيحيين في آدم؛ إذ إنه هو أبو الأنبياء عند المسلمين، وأبو الخطيئة عند المسيحيين[169].

على أن الجذور التاريخية للإشكالية العقدية حول شمولية الخطيئة وانتقالية الإثمية، تكمن – بحسب ما يميل إليه الفاروقي– في النظرة التأثيمية للإنسان، التي جعلت من الخطيئة إشكالية عالمية، وحتمية كونية، لا مناص للهروب منها، إلا بالتدخل الإلهي الخلاصي، على أساس أن مقررات العقيدة المسيحية، التي اصطبغت بالإثمية، كانت قد انحرفت بعيدًا عن العقيدة التي تتصف بالتحرر من التناقض، والانسجام، ونحت إلى جانب التقاليد الأخرى في النصوص الدينية المسيحية والأحداث التاريخية، خلافًا للأخلاق التي دعا إليها المسيح ﷺ، والتي كانت منصبة على إصلاح النفس الفردية، بوصفها تمثل بوابة مهمة في إحداث التحول الجذري لتلك النفس، بعيدًا عن البناء الاجتماعي والتشريعي[170].

ويفهم من سياق الكلام الذي أشار إليه الفاروقي، أن الخطيئة قدمت فهمًا جديدًا للشعور اليهودي حول الفراغ بين اليهود وبين الله، من خلال إزالة فكرة البؤس الدائم من العقل اليهودي، وتذكيرهم بأنهم كانوا مباركيين في مراحل سابقة، وهذا وإن كان يقلل ضغط واقع الشر على الروح المؤمنة بالله، إلا أنه – في الوقت ذاته– قد وسَّع دائرة التبرير للإثم، نتيجة الاعتقاد الجازم بشمولية الخطأ، ما يعني أن هذه القضية تُشكل جزءًا جوهريًا من التصور المسيحي للخلاص من الخطيئة الأصلية من جهة، وللنجاة من العذاب الأزلي من جهة أخرى[171].

الخاتمة:

خلصنا في نهاية هذا البحث الذي دار حول "نقد الفاروقي عقائد المسيحية في كتابه: «الأخلاق المسيحية»: دراسة تحليلية نقدية" إلى أن هذا الكتاب يعد أحد أبرز الإبداعات العلمية والفكرية في دراسة الفكر الديني المسيحي، بوصفه تطبيقًا عمليًا للمبادئ العامة التي وضعها المؤلف لتقييم أخلاق المسيحية وعقائدها من جهة، وطرحًا نقديًا قرآنيًا للمسيحية من منظور إسلامي من جهة أخرى.

زيادة على ذلك كشف الكتاب عن أصول المسيحية الأولى، في ضوء التطورات المتعاقبة التي رافقت ظهورها حتى مجمع نيقية أولاً، ثم بيان ما طرأ على العقيدة المسيحية – بفعل بولس– من تناقضات وانحرافات تصطدم مع العقل، وأحدث الكتاب زلزالاً عنيفًا في أوساط الفكر المسيحي المعاصر؛ إذ نقل نقد عقائد المسيحية من الأبعاد الدينية إلى الإطار العقلاني الموضوعي.

إلى جانب الدراسة النقدية للعقائد المسيحية، ابتكر الفاروقي أسلوبًا جديدًا في التحليل المقارن الكاشف لحقيقتها، بأسلوب يجمع بين النقد الموضوعي، وبين اعتماد إجراء التوقف عن الحكم عليها، إلى حين فهم أبعادها.

لقد أبدع الفاروقي في مقاربته وتحليليه في تتبع المراحل التاريخية التي ساعدت في تكوين المقولات العقائدية المسيحية، من خلال كشف جذورها في اليهودية، التي تركت بصماتها على النص الديني للعهد القديم، ثم المؤثرات الهيلينية، والغنوصية، والمانوية، التي أثَّرت في صياغة مفاهيم جديدة للمعتقدات المسيحية، كالخطيئة، والخلاص، وصولاً إلى عقيدة التثليث، بوصفها امتدادًا منطقيًا ومتطلبًا حتميًا للاعتقاد بالخطيئة الأولى وبضرورة الخلاص منها.

وبوصول الباحث إلى ختام بحثه المتواضع؛ فإنه يُسجِّل أهم النتائج التي توصل إليها، والتوصيات المقترحة التي يرجو تحقيقها، والاهتمام بها من قبل الباحثين والمتخصصين في ميدان العلم والمعرفة:

أولاً: نتائج البحث:

1) أن المقاربة المتميزة التي قدمها الفاروقي في نقد عقائد المسيحية، جديرة بأن تُتخذ أنموذجاً معرفيًا للدراسة النقدية المقارنة، لكن بعد تطبيق شروطه التي تضبط مساره العلمي والمنهجي، وتحديد مبادئه النظرية والتقويمية.

2) أن كتاب: (الأخلاق المسيحية) للفاروقي، يُعد أحد أبرز ما أنتجه الفكر الإسلامي المعاصر في نقض الأسس النظرية للعقائد المسيحية، وفق تحليل تاريخي ومنهجي للأفكار المسيحية الحديثة والمعاصرة ونقدها، في ضوء تأسيس مؤلفه للمنهج الجديد (الماورائي) الذي يقوم بدور التحليل النقدي للقضايا الدينية المدروسة، وعرضها وفق سياقاتها التاريخية الديناميكية، بوصفها تمثل محاولة جادة في تجاوز السلبيات التي اكتنفت الدراسات التاريخية المزمنَّة.

3) أن الفاروقي تجاوز الظواهرية الغربية بمفهومها الضيق، وحاول أن يقدم تحليلاً تاريخيًا

للعقائد المسيحية ونقدها، من خلال صياغة نظرية إسلامية "ما وراء الدين"، وتطوير مجالاتها في التعليق والوصف والمقارنة، بما يتماشى مع التطورات التي حدثت في علم المناهج النقدية التي تتراكم حول التفسيرات التاريخية لهذه العقائد، فكانت هذه النظرية خير معين له في النقد الموضوعي، بوصفها تمثل بداية مهمة في استكمال النقائص التي اكتنفت الدراسة الظاهراتية.

4) أن المبادئ النظرية الحاكمة للفهم والتقويم العقدي التي صاغها الفاروقي، قد أوجدت منظورًا موضوعيًا إنسانيًا عقلانيًا نقديًا للعقائد الدينية، قادرًا على ممارسة النقد، بل ونقد النظرية ذاتها.

5) أن منهج الفاروقي في نقد العقائد المسيحية، اعتمد على التحليل التاريخي للأفكار السائدة والموروثة عن اليهودية، بوصفها تقدم هذه العقائد كما هي عند معتقديها، ونقدها بموضوعية وحيادية، وتقييمها بمبادئ عقلانية ومنطقية.

6) أن أهم وأشهر نقاط الضعف التي توصل إليها الفاروقي في معرض نقده للعقائد المسيحية ترجع في مجملها إلى عدم دلالة الأناجيل على تلك العقائد، وأنها من وضع بولس، وأن بعض معتقدات المسيحيين قد شرعتها المجامع الكنسية، (ومن أشهرها مجمع نيقية) بعد رفع المسيح عليه السلام بفترة طويلة، وأن التناقض في تصوراتهم العقدية ترجع إلى خطأ في الفهم، أو بُعد في التأويل، فضلاً عن تأثير العالم الوثني القديم على المسيحية، كما في التثليث.

ثانيًا: توصيات البحث ومقترحاته:

1) ترجمة كتاب المفكر الفاروقي: "الأخلاق المسيحية Christian Ethies"، ومقالاته العلمية ذات الصلة.

2) عمل دراسة أو دراسات تحاول الكشف عن أثر الفكر الغربي في منهج المفكر إسماعيل الفاروقي.

3) الاهتمام بالقضايا المنهجية التي تمثل الرؤية الإسلامية، في تحليل أبعاد العقائد الدينية، ونقدها بموضوعية وحيادية.

4) دراسة المناهج الغربية في الأديان، وتحليل الجهود الحديثة وتقييمها، وتقويمها، من وجهة نظر إسلامية.

5) ترجمة موسوعات الأديان في الغرب، بما يضمن للباحثين المسلمين متابعة أحدث النظريات البحثية في نقد الأديان.

6) العمل على إنشاء مراكز أبحاث في الدول الإسلامية تهتم بدور الجدل الدِّيني في تطوير علم الدراسات الدينية المقارنة.

الهوامش:

(1) الإمام اللغوي (329-395هـ)، كان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقه مالك، مناظرًا متكلمًا، مذهبه في النحو على طريقة الكوفيين. (ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ط11، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1996م: 103/17).

(2) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس القزويني، تح: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل- بيروت، 1999م: 4/ 86.

(3) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ط1، دار صادر- بيروت، 1956م: 299/13، والصحاح، ط4، دار العلم- بيروت،1987م: 791/1.

(4) ينظر: نظام الإسلام: للنبهاني، ط6، فلسطين، 2004م: 22، والثقافة الإسلامية: لأبي يحيى، ط1، دار القضاء- عمان، 2000م:487.

(5) ينظر: الإيمان كما يصوغه الكتاب والسنة: علي عبد المنعم، ط1، دار البحوث العلمية- الكويت، 1978م: 19، وعقيدة المسلم: خالد العك، ط1، دار الإيمان- دمشق، 1988م: 81.

(6) الدكتور جميل صليبا.

(7) طبيب وفيلسوف ومؤرخ فرنسي (1841-1931م): يعد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية؛ حيث عُني بالحضارة الشرقية وكتب فيها، وفي علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا. (ينظر: مقدمة ترجمة كتاب غوستاف لوبون "حضارة العرب" لعادل زعيتر، ط1، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة- القاهرة، 2012م: 11 فما بعدها).

(8) ينظر: المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، طبعة الشركة العالمية للكتاب- بيروت، 1982م: 92/2، وقارن: الآراء والمعتقدات: نشوؤها وتطورها: غوستاف لوبون، تر: عادل زعيتر، ط1، مؤسسة هنداوي- مصر، 2012م: 11.

(9) فيلسوف فرنسي (1596-1650م): يعد في رأي كثير من الباحثين أبا الفلسفة الحديثة ومؤسسها. اكتشف الهندسة التحليلية. (ينظر: معجم أعلام المورد للبعلبكي، ط1، دار العلم- بيروت، 1992م: 196).

(10) ينظر: المعجم الفلسفي: 101/2.

(11) أشهر معاجم اللغة العربية، في العصور المتأخرة. مؤلفه محمد بن مكرم بن منظور ت(771هـ)، اعتمد في ترتيبه على الترتيب الهجائي للحروف، بانياً أبوابه على الحرف الأخير من الكلمة. طبع لأول مرة بمطبعة بولاق في القاهرة سنة 1882م بعناية الشدياق، وطبع بعد ذلك عدة طبعات، ثم طبع أخيرًا في بيروت سنة 1996م (دار إحياء التراث العربي) بتغيير ترتيبه الذي طبع عليه في الطبعات السابقة، حيث رتب على غرار المعاجم الحديثة، باعتماد أوائل حروف الكلمة، وليس أواخرها كما هو في الطبعات السابقة. (ينظر: مقدمة لسان العرب: 7/1-8).

(12) ينظر: لسان العرب: 593/2.

(13) فيلسوف مسلم (544-606هـ): إمام مفسر، وفقيه شافعي، ولد بالري، وتوفي بأفغانستان، درس اللغة العربية والفارسية، له نحو مائتي مصنف، أشهرها: (مفاتيح الغيب). (ينظر: طبقات الشافعية للسبكي، تح: محمود الطناحي، ط2، دار هجر، القاهرة، 1413هـ: 33/5).

(14) ينظر كتابه: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت، 2000م: 46/8.

(15) ينظر: ترجمة ومعاني النصرانية في قاموس المعاني عربي إنجليزي، على الموقع: www.almaany.com.

(16) ينظر: مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية: حياة المسعودي، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت إلى مجلس قسم أصول الدين في معهد العلوم الإسلامية- جامعة الشهيد حمه لخضر بالجزائر، 2018م: 18-19.

(17) ينظر: مدخل إلى الإيمان المسيحي: جوزيف راستنجر، تر: نبيل الخوري، ط1، المكتبة البولسية- بيروت، 1994م: 21.

(18) ينظر: المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل: ساجد مير، ط1، دار السلام- الرياض، 1423هـ-2002م: 35.

(19) أحد دعائم الكنيسة المسيحية (5-67م): وُلد في أوائل القرن المسيحي بمدينة طرطوس (قيليقية)، صنفته الكنيسة بين رسلها، وبات اسمه: «بولس الرسول»، لم يكن من تلاميذ المسيح، لكنه تنصَّر وانصرف إلى التبشير بالمسيحية الجديدة؛ بهدف نقلها إلى الوثنية، اعتقل في بيت المقدس وأُعدم سنة 67م. (ينظر: معجم أعلام المورد: 121، وقاموس الكتاب المقدس: 196).

[20] ينظر: التوحيد كرؤية معرفية في فكر الفاروقي: طسطاس، مجلة الدراسات بجامعة الأمير عبد القادر- الجزائر، العدد 1، 2005م: 17.

[21] مدرسة فرنسية كاثوليكية في القدس، أسستها جمعية أخوة الفرير 1876م، ومؤخرًا أصبح يُدرس فيها المنهج الفلسطيني، واللغتين الفرنسية والعبرية. (ينظر: الموقع الرسمي لمدرسة الفرير في القدس، نسخة محفوظة 2 أغسطس 2017م على موقع واي باك مشين).

[22] see: Christian Ethies: Dr.Ismail Al-faruqi, Mcgill University, Press, N.E, 1967: 12.

[23] مقدمة كتاب الفاروقي: إسلامية المعرفة: المبادئ العامة، خطة العمل: لـ عبد الجبار الرفاعي، ط1، دار الهدى- بيروت، 2001م: 39.

[24] مشروع دعوي اضطلع من خلاله المعهد العالمي للفكر الإسلامي ببحث أسباب وهن الأمة الإسلامية، وأُوكلت مهمة صياغة خطته للفاروقي، فوضع كتب دراسية جامعية بما ينسجم والرؤية الإسلامية، وإعادة صياغة المعلومات، وتنسيقها، وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها، وتقييم الاستنتاجات التي تم الانتهاء إليها، كما وضع خطة دقيقة لإتمام مشروعه. (ينظر: أسلمة المعرفة: للفاروقي، تر: فؤاد حموده، وعبد الوارث سعيد، مجلة المسلم المعاصر، العدد 32، الكويت، 1982م: 9).

[25] من أشهر مؤلفات الفاروقي: "أطلس الحضارة الإسلامية"، "التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة"، "الملل المعاصرة في الدين اليهودي"، "أصول الصهيونية في الدين المسيحي"، ومن الكتب التي قام بترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية: "من هنا نعلم" للشيخ محمد الغزالي.

[26] ينظر: الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين على الشبكة العالمية (www.ikhwan.wiki).

[27] لم أجد له ترجمة.

[28] ينظر: تتمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، ط2، دار ابن حزم- بيروت، 2002م: 72/1.

[29] See: Christian Ethies: 19.

[30] ينظر: قراءة في كتاب: الأخلاق المسيحية، نحو علم مسيحيات إسلامي: عامر عدنان الحافي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 74، خريف 1434هـ/2013م: 195-226.

[31] See: Christian Ethies: 13.

[32] الفكر الهيليني هو المصطلح الذي يشير إلى الفلسفة والثقافة والفنون والأدب والعلوم والتاريخ الذي تم تطويره في العالم اليوناني خلال الفترة بين عامي (800 ق.م – 500م). (ينظر: موجز تاريخ الفلسفة الغربية: محمد مرسي، مجلة المعهد المصري بالقاهرة، المجلد السادس، العدد 22، أبريل 2021م: 271).

[33] ينظر: قراءة في كتاب: الأخلاق المسيحية، نحو علم مسيحيات إسلامي: 195-226.

[34] ينظر: المرجع نفسه: 195-226.

[35] مثل الترجمة التي قام بها الدكتور عبد الواحد لؤلؤة لكتاب: "أطلس الحضارة الإسلامية" عام 1998م، ومؤخرًا قام الدكتور السيد عمر بترجمة كتاب: "التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة" عام 2018م.

[36] دكتوراه في مقارنة الأديان من جامعة الزيتونة. أستاذ الأديان المشارك في جامعة آل البيت الأردن، المستشار الأكاديمي للمعهد الملكي للدراسات الدينية. ينظر: إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري: 543.

[37] تم تحميل اللقاء على برنامج اليوتيوب بواسطة قناة: أسمار وأفكار، باعتباره المجلس الثالث بعد المئتين من مجالس أسمار وأفكار يتحدث فيه الدكتور إبراهيم الزين عن كتاب الأخلاق المسيحية للفاروقي، يمكن مشاهدة اللقاء على الرابط: https://youtu.be/F4p1m5HMhs4?si=MFdUY7V1|-N510NU

[38] ينظر: قراءة في كتاب: الأخلاق المسيحية، نحو علم مسيحيات إسلامي: 195-226.

(39) See: Christian Ethies: 92.

(40) ينظر: قراءة في محاولة الفاروقي لتأصيل المنهج الظاهراتي في مقارنة الأديان: صالح مشوش، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ببيروت، العدد 4-5، 2018م: 112-113.

(41) قسيس وراهب ألماني: (1483-1546م): زعيم البروتستانتية، هاجم متاجرة الكنيسة بصكوك الغفران والبابوية، تمَّ نفيه بعد ترجمة الكتاب المقدس. (ينظر: معجم أعلام المورد: 219، واليهود وأكاذيبهم: مارتن لوثر، تر: محمود النجيري، ط1، مكتبة النافذة- الجيزة، 2007م: 57).

(42) See: Christian Ethies: 131.

(43) See: Christian Ethies: 11.

(44) See: Christian Ethies: 12.

(45) ينظر: النموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي: بلال التليدي، ضمن كتاب: «إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري»: 665.

(46) See: Christian Ethies: 13.

(47) See: Christian Ethies: 14-15.

(48) See: Christian Ethies: 206.

(49) انظر كتابه: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ط2، القاهرة، 1988م: 12.

(50) ينظر كتابه المؤلف بالاشتراك مع زوجته لويس الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية، تر: د.عبد الواحد لؤلؤة، ط1، الرياض، 1998م: 26.

(51) Christian Ethies: 74.

(52) أطلس الحضارة الإسلامية: 179.

(53) توثيق السنة في القرن الثاني الهجري: أسسه ومناهجه: د.رفعت فوزي عبد المطلب، ط1، مكتبة الخانجي بمصر، 1400هـ-1981م: 17.

(54) Christian Ethies: 164.

(55) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري خلق آدم من صحيحه عن أبي جعفر عبد الله بن محمد المسندي، وفي الاستئذان، عن أبي زكريا يحيى بن جعفر البيكندي، باب: (بدء السلام)، رقم الحديث: (6227): 62/8، وقد شارك البخاري في إخراج الحديث وروايته مجموعة من أهل الإسناد والحديث.

(56) منها: استشهاده بحديث ابن عمر عن النبي ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية». (ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: الفاروقي، تر: (د.السيد عمر)، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا، 2000م: 162).

(57) مثل: المنقذ من الضلال: لأبي حامد الغزالي، وتفسير ابن كثير، ومناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق: د.علي سامي النشار، وغيرها.

(58) Christian Ethies: 248.

(59) Christian Ethies: 83.

(60) مجمع نيقية 325م، ومجمع القسطنطينية 381م، ومجمع أفسس 431م، ومجمع خلقيدونية 451م.

(61) ينظر: Christian Ethies: 132. وأطلس الحضارة الإسلامية: 108-109.

(62) رجع في ذلك إلى ما كتبه باول رمزي: «BASIC CHRISTIAN ETHICS»، وعنوانه بالعربية: «قواعد الأخلاق المسيحية».

(63) رجع في مثل ذلك إلى ما كتبه أدولف هارنوك: «HISTRY OF DOGMA»، وعنوانه بالعربية: «تاريخ الدوغماتية»،

(64) Christian Ethies: 100.

(65) أطلس الحضارة الإسلامية: 108.

(66) باحث في المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، باحث في مركز نماء للدراسات والبحوث. (ينظر: إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري: 665).

(67) ينظر بحثه: النموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي، ضمن كتاب: «إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري»: 672.

(68) Christian Ethies: 20-21.

(69) ينظر: المنهج الفينومينولوجي في دراسة الدين عند الفاروقي: عامر دشينور، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا، 2022م: 34.

(70) Christian Ethies: 76-80.

(71) See: Christian Ethies: 38-39.

(72) Christian Ethies: 243.

(73) الفينومينولوجيا: لفظة إغريقية، مشتقة من كلمتين: «فينومين» أي (علم الظواهر)، و«اللوغوس»: وهو الكلام الذي يسمح بانجلاء ما يتحدث عنه، وتعني: الدراسة الوصفية لمجموع الظواهر، كما هي في الزمان، والمكان، وكما يدركها الشعور الإنساني، وشعارها: "صف ما ترى فقط". ينظر: المعجم الفلسفي: 2/ 35، والموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي: جميل الحاج، ط1، مكتبة لبنان- بيروت، 2000م: 526.

(74) Christian Ethies: 5.

(75) لفظة يونانية، تعني: تعليق الحكم، وأول من استخدمها هو هوسرل. (ينظر: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي: 154).

(76) ينظر: أطلس الحضارة الإسلامية: 26.

(77) See: Christian Ethies: 14-15.

(78) ينظر: أطلس الحضارة الإسلامية: 90، 139.

(79) من أبرزهم: Hendrik Kraemer.

(80) أستاذ مساعد بقسم الدراسات العامة، كلية علوم الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا. (ينظر بحثه في مجلة نماء التي سبق الإشارة إليها: قراءة في محاولة الفاروقي لتأصيل المنهج الظاهراتي في مقارنة الأديان: 112).

(81) ينظر: قراءة في محاولة الفاروقي لتأصيل المنهج الظاهراتي في مقارنة الأديان: 128.

(82) ينظر: النقد والنظرية الأدبية: كريس بولديك، تر: خميسي بوغرارة، ط1، دار الهدى- الجزائر، 2004م: 238.

(83) Christian Ethies: 279.

(84) أول هذه المصادر الأربعة: يُرمز له بالحرف J، ويعود تاريخه إلى القرن التاسع ق.م، وفيه نزعة واضحة إلى إضفاء الصفات البشرية على الله، الذي أُشير إليه تعالى باسم Yawa. وثانيها: يرمز بالحرف E، ويعود تاريخه إلى القرن الثامن ق.م، وفيه يخفُّ الميل إلى التشبيه والتجسيم، ويستخدم اسم Elohim للدلالة على اسم الجلالة. وثالثها: يرمز له بالحرف D، ويعود تاريخه إلى القرن السابع ق.م، وفيه نزوع واضح إلى تقرير المسائل ذات الصلة بالطهارة الدينية والحلال والحرام، والكهانة. ورابعها: يرمز له بالحرف P، ويعود تاريخه إلى القرن الخامس ق.م، وفيه تبلور التنزيه ونفي التشبيه. (ينظر: من كتب التوراة: ريتشارد، تر:(عمرو زكريا)، ط1، دار البيان- القاهرة، 2003م: 24).

(85) Christian Ethies: 280.

(86) Christian Ethies: 33.

(87) راجع كتاب (جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة إسماعيل الفاروقي، جمع السيد عمر: 58).

(88) Christian Ethies: 32.

(89) See: Christian Ethies: 21.

(90) Christian Ethies: 22.

(91) Christian Ethies: 25-26.

(92) ينظر: النموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي: 668.

(93) التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 50.

(94) See: Christian Ethies: 22-25.

(95) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 204.

(96) See: Christian Ethies: 74-75.

(97) See: Christian Ethies: 74-77.

(98) See: Christian Ethies: 77-78.

(99) See: Christian Ethies: 76-79.

(100) See: Christian Ethies: 50.

(101) ينظر: إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر: 91.

(102) ينظر: تاريخ الأديان: محمد خليفة حسن، ط1، دار الثقافة العربية- القاهرة، 2002م: 226، والتوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 42.

(103) فرقة نصرانية قديمة ظهرت قبل مجمع نيقية، يمكن إيجاز مذهبها في أن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، وأن ما كان خارجًا عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء، وبإرادة الله ومشيئته، أما الكلمة فهو وسط بين الله والعالم، كان، ولم يكن زمان، لكنه غير أزلي و لا قديم، فالكلمة مخلوق، بل مصنوع، وعليه فليس في المسيح لاهوت، بل هو إنسان محض مهما كان عظيمًا. (ينظر: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية: لويس غارديه وجورج قنواتي، ترجمة: د.صبحي الصالح وفريد جبر، ط2، بيروت، 1978م: 2/ 286).

(104) السلطة الدينية هي سلطة الكنيسة، ويقوم مذهب هذه السلطة على فرض عقيدة إلهية المسيح عليه السلام، وترفض الكنيسة منح صكوك الغفران لمن لا يؤمنون بهذه العقيدة. (ينظر: النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: عرفان عبد الحميد، ط1، دار عمار للنشر- عمَّان، 2000م: 60).

(105) See: Christian Ethies: 91.

(106) See: Christian Ethies: 92.

(107) See: Christian Ethies: 93.

(108) See: Christian Ethies: 32.

(109) سفر التكوين: 1/27-30.

(110) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 71.

(111) See: Christian Ethies: 33.

(112) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 70.

(113) سبق العريف به.

(114) كلمة يونانية من مقطعين: (ميتا) أي بعد، و(فيزيقيا) بمعنى طبيعة، فالميتافيزيقيا بذلك أو علم ما بعد الطبيعة هو العلم الذي يتأمل في الموجوداتاللامحسوسة والماورائية، وهي أيضًا معرفة الأشياء في ذاتها، لا معرفة الظواهر التي تتجلى من خلالها هذه الأشياء. (ينظر: المصطلحات والشواهد الفلسفية: جلال الدين سعيد، ط1، دار الجنوب للنشر- تونس، 2004م: 460).

(115) See: Christian Ethies: 160.

(116) حركة فلسفية ودينية ذات أشكال متنافرة وأنساق أسطورية غير متجانسة، ظهرت في أوروبا والشرق الأوسط، وتطلق على المذاهب الباطنية، والهرطقات الجوهرية، التي تقف على الطرف النقيض من العقائد السماوية التوحيدية. (ينظر: المعجم الفلسفي: 2/72).

(117) Christian Ethies: 36.

(118) كلمة يونانية بمعنى:«الرأي المستقل» وتطلق على المذهب الخارج على المسيحية. (ينظر: معجم المصطلحات الكنسية: القس أثناسيوس المقاري، ط2، القاهرة، 2005م: 3/207).

(119) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 71-72.

(120) See: Christian Ethies: 157.

(121) See: Christian Ethies: 33-35.

(122) Christian Ethies: 32.

(123) سفر دانيال هو أخروي من أسفار الكتاب المقدس، يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وهو يجمع بين النبوءة والتاريخ وعلم الآخرات. (ينظر: قاموس الكتاب المقدس: 359)، وللوقوف على معنى كلمة (ابن الله) في سفر دانيال ينظر: 9/7-14.

(124) See: Christian Ethies: 33.

(125) See: Christian Ethies: 38.

(126) See: Christian Ethies: 158.

(127) نزعة فكرية تهدف إلى التوفيق والمزج بين الثقافة اليونانية والثقافات الشرقية. (ينظر: معجم المصطلحات الكنسية: 321/3).

(128) كالنص الذي ورد في سفر التكوين (1/6-8): «لتصنع الإنسان على صورتنا».

(129) See: Christian Ethies: 38-39.

(130) Christian Ethies: 36.

(131) See: Christian Ethies: 33-34.

(132) See: Christian Ethies: 149.

(133) التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 44.

(134) عقيدة هندية ظهرت في القرن الثامن قبل الميلاد، على يد مجموعة من الحكماء، وتنسب البراهمانية إلى رجل يقال له: «براهم» الذي أطلقوا عليه صفات ألوهية، واعتقدوا فيه أنه الخالق. (ينظر: البراهمانية الهندية: محمد الخشب، ط1، دار ابن سينا- القاهرة، 2002م: 68).

(135) ينظر: أطلس الحضارة الإسلامية: 109.

(136) See: Christian Ethies: 132.

(137) See: Christian Ethies: 174.

(138) ينظر: أطلس الحضارة الإسلامية: 11.

(139) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 71.

(140) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 42.

(141) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 44.

(142) ينظر: مدخل إلى الإيمان المسيحي: 231.

(143) إنجيل يوحنا: 1/1-2.

(144) فرقة يهودية مسيحية، مأخوذة من الكلمة العبرية "إبيونيم"، وتعني: فقراء، وهم مجموعة قليلة من يهود - غالبًا- أسينيين متعصبين لتقليد الشيوخ اليهود، ويميلون إلى المسيحية، لكنهم ظلوا طائفة يهودية مسيحية منفصلة عن المسيحية الحقيقية. (ينظر: قاموس الكتاب المقدس: 317).

(145) ينظر: أطلس الحضارة الإسلامية: 108-109.

(146) See: Christian Ethies: 156.

(147) المفكرون واللاهوتيون الذين ألَّفوا تفاسير الكتاب المقدس. (ينظر: مدخل إلى الإيمان المسيحي: 112).

(148) See: Christian Ethies: 139-140.

(149) See: Christian Ethies: 171.

(150) See: Christian Ethies: 157-158.

(151) لاهوتي سويسري (1886-1962م): أحد أبرز اللاهوتيين البروتستانت وأبعدهم نفوذًا في القرن العشرين، عُيِّن كاهنًا للكنيسة الإصلاحية السويسرية عام 1909، دعا إلى الالتزام برسالة المسيح الأخلاقية. (ينظر: معجم أعلام المورد: 88).

(152) See: Christian Ethies: 168.

(153) See: Christian Ethies: 195-196.

(154) See: Christian Ethies: 199-200.

(155) See: Christian Ethies: 201.

(156) See: Christian Ethies: 201.

(157) See: Christian Ethies: 202.

(158) Christian Ethies: 203.

(159) Christian Ethies: 204.

(160) ينظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: 109-110.

(161) وردت قصة آدم وحواء في سفر التكوين: 1/3-24.

(162) See: Christian Ethies: 204.

(163) Christian Ethies: 235.

(164) See: Christian Ethies: 205.

(165) See: Christian Ethies: 201.

(166) See: Christian Ethies: 314-315.

(167) See: Christian Ethies: 194.

(168) See: Christian Ethies: 195.

(169) See: Christian Ethies: 202.

(170) See: Christian Ethies: 311.

(171) See: Christian Ethies: 199.

المصادر والمراجع:

1. إسلامية المعرفة: المبادئ العامة، خطة العمل: د.إسماعيل الفاروقي، تقديم: عبد الجبار الرفاعي، الطبعة الأولى، ط1، بيروت، 2001م.
2. أسلمة المعرفة: د.إسماعيل الفاروقي: ترجمة: فؤاد حموده، مجلة المسلم المعاصر، الكويت، 1982م.
3. إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري المعاصر: د.محمد خليفة حسن وآخرون، الطبعة الأولى، فرجينيا، 2014م.
4. إشكالية المنهج في دراسة الأديان: تحرير: أحمد محمود هويدي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2018م.
5. أصول الصهيونية في الدين اليهودي: د.إسماعيل الفاروقي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1988م.
6. أطلس الحضارة الإسلامية: إسماعيل الفاروقي ولويس لمياء الفاروقي، ترجمة: د.عبد الواحد لؤلؤة، الطبعة الأولى، فرجينيا، 1998م.
7. الآراء والمعتقدات: نشوؤها وتطورها: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الأولى، مصر، 2012م.
8. الإيمان كما يصوغه الكتاب والسنة: علي عبد المنعم، الطبعة الأولى، الكويت، 1978م.
9. البراهمانية الهندية: محمد الخشب، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002م.
10. تاريخ الأديان: دراسة وصفية: د.محمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002م.
11. تتمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الثانية، بيروت، 2002م.
12. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري: أسسه ومناهجه: د.رفعت عبد المطلب، الطبعة الأولى، مصر، 1981م.
13. التوحيد كرؤية معرفية في فكر الفاروقي: طسطاس، مجلة الدراسات بجامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، العدد الأول، 2005م.
14. التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: إسماعيل الفاروقي، ترجمة: د.السيد عمر، الطبعة الأولى، ط1، فرجينيا، 2000م.
15. الثقافة الإسلامية ثقافة العصر: محمد أبو يحيى، الطبعة الأولى، عمان، 2004م.
16. الجامع الصحيح: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى، القاهرة، 1987م.

17. حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012م.
18. حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية: د.إسماعيل الفاروقي، مجلة المسلم المعاصر، العدد 26، 1981م.
19. سير أعلام النلاء: للإمام الذهبي، الطبعة الحادية عشر، بيروت، 1996م.
20. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1413هـ.
21. عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة النبوية: خالد بن عبد الرحمن العك، الطبعة الأولى، دمشق، 1988م.
22. فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية: لويس غارديه وجورج قنواتي، ترجمة: د.صبحي الصالح وفريد جبر، الطبعة الثانية، بيروت، 1978م.
23. قاموس الكتاب المقدس: تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، بإشراف: د.بطرس عبد الملك، وجون ألسكندر، وإبراهيم مطر، الطبعة الثانية، القاهرة، 1995م.
24. قراءة في محاولة الفاروقي لتأصيل المنهج الظاهراتي في مقارنة الأديان: صالح مشوش، دورية نماء، بيروت، العدد الرابع والخامس، 2018م.
25. مدخل إلى الإيمان المسيحي: جوزيف راستنجر، ترجمة: نبيل الخوري، الطبعة الأولى، ط1، بيروت، 1994م.
26. المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل: ساجد مير، الطبعة الأولى، الرياض، 2002م.
27. مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية: حياة المسعودي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشهيد حمه لخضر، الجزائر، 2018م.
28. المصطلحات والشواهد الفلسفية: جلال الدين سعيد، الطبعة الأولى، تونس، 2004م.
29. معجم أعلام المورد: إعداد: د.منير البعلبكي، الطبعة الأولى، بيروت، 1992م.
30. المعجم الفلسفي: د.جميل صليبا، طبعة بيروت، 1982م.
31. معجم المصطلحات الكنسية: القس أثناسيوس المقاري، الطبعة الثانية، القاهرة، 2005م.
32. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، بيروت، 1999م.

33. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين الرازي، الطبعة الأولى، بيروت، 2000م.
34. من كتب التوراة: ريتشارد، ترجمة: عمرو زكريا، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003م.
35. المنهج الفينومينولوجي في دراسة الدين وتطبيقاته عند إسماعيل الفاروقي: عامر محمود دشينور، الطبعة الأولى، فرجينيا، 2022م.
36. موجز تاريخ الفلسفة الغربية: محمد مرسي، مجلة المعهد المصري بالقاهرة، العدد 22، أبريل 2021م.
37. الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي: جميل الحاج، الطبعة الأولى، ط1، بيروت، 2000م.
38. النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: الدكتور عرفان عبد الحميد، الطبعة الأولى، عمَّان، 2000م.
39. نظام الإسلام: تقي الدين النبهاني، الطبعة السادسة، فلسطين، 2006م.
40. النقد والنظرية الأدبية: كريس بولديك، ترجمة: خميسي بوغرارة، الطبعة الأولى، الجزائر، 2004م.
41. اليهود وأكاذيبهم: مارتن لوثر، ترجمة: محمود النجيري، الطبعة الأولى، الجيزة، 2007م.
42. Christian Ethies: D.Ismail Al-faruqi,Montreal, Mcgill University, Press, N.E, 1967.